



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة –
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم : العلوم الاجتماعية
تخصص: فلسفة عامة

الموضوع

تصوّر الدّولة عند ميكيافلي وأثره في السّياسة فكرا و ممارسةً

مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص فلسفة عامة

إعداد الطالبة:
➢ عبسي رندة

الأستاذ المشرف:
➢ بن سليمان جمال الدين

الموسم الجامعي:2018-2019

بِسْم الله الرّحمان الرّحيم

« يَرْفَعُ اللَّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم والّذِين أُوتُوا العِلْمَ درجاتٍ والله بما تعْمَلون خبِير »

صَدَقَ اللَّه العَظيم

سورة المجادلة - الآية: 11

إهـــداء

بسم الله الرّحمان الرّحيم

(قل إعملو فسيرى الله عمكم ورسوله والمؤمنين) صدق الله العظيم.

الحمد لله الّذي وفّقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا أمّا بعد:

أيّام بدأناها بخطوة وهنا نحن اليوم نقطف ثمار مسيرة أعوام كان هدفنا فيها واضحا، وها قد وصلنا وبيدنا شعلة علم وسنحرص عليها كلّ الحرص حتّى لا تنطفئ.

أهدي هذا العمل إلى نبع الحنان والقلب الحنون أمّي الّتي كانت شمعة تحترق لتنير أمالي ودربي.

إلى ملاكي في الحياة..الّذي ربّاني وسهر على راحتي أبي العزيز. فأنتُما وهبتموني الحياة والأمل والنّشأة على شغف الإطلاع والمعرفة.

إلى أفراد أسرتي أخصّ بالذكر أخوتي وأخواتي فلا أحصي لهم فضلا، فهم سندي في الحياة بعد والديّ.

إلى كلّ أحبّائي وصديقاتي لطالما كانوا ضوءا لا يختفي في دربي سواء عند التعثّر أو النّجاح أخصّ بالذّكر:صديقة طفولتي "فوزيّة" البعيدة عن عيني والقريبة لقلبي. ومصدر قوّتي "انصاف" القلب الطيّب والرّوح النقيّة. وأختي الّتي لم تلدها أمّي"سهيلة"سندي في كلّ شيء. فلن توفي الكلمات حق شكركنّ والإمتنان لكنّ.

إلى أساتذتي الكرام، وكلّ رفيقات ورفقاء الدّراسة، وزميلاتي في العمل "سميحة" و "أحلام".

إلى أحبّتي من تغافل قلمي عن ذكرهم ولكن قلبي لم ينكر جميلهم ولن يتوقّف عن شكرهم. كما أهدي هذا العمل لكلّ من كان له بصمة في حياتي لكم منّي كلّ الودّ والإحترام.

وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطّلبة المُقبلين على التخرّج.

الشكر و العرفان

الحمد لله الّذي تمّم به الصّالحات، والصّلاة والسّلام على النبيّ الأميّ المبعوث رحمة للعالمين

إلهي لا يطيب اللّيل إلّا بشكرك..ولا يطيب النّهار إلاّ بطاعتك..ولا تطيب اللّحظات إلّا بذكرك..ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك..

في البداية أشكر الله عزّ وجل والّذي بفضله اِستطعتُ اِنجاز هذا البحث

كما أودّ أن أشكر نفسي الّتي ثابرت وجاهدت ولم تكتفي من ذلك مادام مرامها هو العلى، فطموحي طاول النّجم، وسأبلغه بإذن الواحد الأحد.

ومن لم يشكر النّاس، لا يشكر الله، فأتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان، لكلّ من أنار لي دربي بشعلة من نور فكره، ووقف معي طوال مشواري الجامعي، وكان لي سراجا في ظلام دربي، أساتذتي الكرام، الّذين بذلوا معي النّفس والنّفيس، ولكلّ تضحياتهم وتنازلاتهم لي خاصّة هذا العام، لأصبح على ما أنا عليه اليوم.

والشّكر الخاص للأستاذ المحترم "بن سليمان جمال الدّين" الّذي ساهم معي في اِنجاز هذا البحث، وأحيى داخلي روح الجدّ والإقبال على العلم أكثر، وغرس فيّ ثقة كبيرة بنفسي، وكان لي أخًا وسنداً وموجّهاً، لك منّي جزيلَ الشّكرِ والإمتنانِ، وأتمنّى من الله أن يزيدك من علمه وأن يرفع مقامك.

فها أنا اليوم أقف على أعتاب النّجاح، متوّجة من قِبلكم أساتذتي الكرام، بتاج العلم الّذي رصّعتموه بقبسات من نور فكركم، وإنّي على دربكم بإذن الله سائرة، ولرسالتكم مبلّغة، رسالة العلم أتّخذها لوائي، وأنا حاملة اللّواء من بعدكم.

والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه

فهرس الموضوعات: **رقم الصّفحة**

فهرس الموضوعات

مقدّمة:

لقد حظيت فكرة الدولة بعناية استثنائيّة منذ الإغريق إلى أزمة الحداثة المعاصرة، وهذه العناية لم تكن فقط لمجرد حاجة الكائنات البشرية إلى منظومة تدبّر لها عيشها وتحقّق لها إستمرارها وأمنها، ولكن لحاجتها إلى ما يشعرها بهويّتها الجمعاء واتحادها الاجتماعي والقومي.

ولقد اهتمّ الكثير من العلماء والمفكرين لدراسة هذا الكائن ألا وهو"الدّولة"، محاولين التّنقيب والكشف عن أسراره وعن نظام الحكم الأمثل للوصول الى دولة متّحدة قوية و آمنة.

وإذا ما عُدنا إلى تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، نجد الحياة السّياسيّة فيها قد تميّزت بالصّراع بين السّلطة الزمنيّة والسّلطة الدينيّة، حيث كان الحكم بيد الكنيسة، هذه الأخيرة كانت من تقف على كل الشؤون السياسية، هي الآمرة النّاهية، فكانت تكبح من جماح العقل وتمنع حريّة التّفكير، بل وأكثر من ذلك تقوم بإعدام من يتجرّأ على عصيان أوامرها،وهكذا فقد كان الإنسان مقيدا بقيود دينيّة جعلته يرضخ إلى تعاليمها التّي أصبحت مبنيّة على مصالح شخصية لا تمتّ بصلة للدّين، ممّا جعل الانسان يثور ضدّ الكنيسة ويصرخ طالبا الحريّة.

إنّ الإنتقال من واقع العصور القديمة إلى واقع العصور الحديثة لم يكن انتقالا مباشرا أو مفاجئا، بل سبقته مرحلة مهمّة في تاريخ البشريّة الّتي تسمّى بعصر النّهضة، في هذا العصر تغيّرت نظرة الإنسان للحياة عامّة وللحياة السّياسيّة خاصّة، واستطاع بفضل تحرّر عقله من أن يستيقظ ويدرك حقيقة العالم الّذي يعيش فيه، وبدأت تُكشف أمامه مجموعة من الحقائق الّتي كان يجهلها، والّتي جعلت منه آلة تسيّر بواسطة الكنيسة، إنّ هذه المرحلة الممهدّة للعصر الحديث تميّزت ببعض التّطوّرات الّتي أدّت إلى تحوّلات فكريّة واجتماعيّة واقتصاديّة، إضافة إلى ظهور نظريّات سياسيّة جديدة مغايرة تماما لما كان سائدا في العصور الوسطى، أهمّها نظريّة المفكّر السّياسي ورجل الدّولة "نيقولا ميكيافلي"Nicolo Maciavili.

فقد اِستطاع هذا الرّجل بكلّ جُرأة وفطنة من أن يحدث تغييرا جذريّا ويعطي تصوّرا سياسيّا مخالفا للفكر المثالي والدّيني، محاولا رسم معالم سياسيّة جديدة، أصبحت فيما بعد بوابة ومرجعيّة للكثير من المفكرّين والحكّام، وغيّر بذلك موازين السّياسة، وقدّم مفاهيم جديدة للحكم، وبنى نظريته على مجموعة من المبادئ الّتي تُلائم طبيعة الظّروف الّتي كانت سائدة في إيطاليا من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة الشّعب بصفته عنصرا مهمّا في السّلطة.

ومن خلال ما سبق نطرح **الإشكاليّة الرّئيسيّة** الّتي يتمحور حولها مدار البحث:

-ما مدى تأثير تصوّر الدَّولة عند ميكيافلي على السِّياسة الحديثة والمعاصرة فكرا وممارسة؟

وتكون الإجابة على هذا التَّساؤل من خلال اِشكاليّات فرعيَّة تمثّلتْ في:

- من هو نيقولا ميكيافلي؟ وماهي الظّروف الّتي أثرت في تجليات فكره؟ وما هي أسس نظرية الدّولة عنده؟ وهل تجسّدت نظريّته على أرض الواقع؟ وما هو بُعد فكر ميكيافلي على النظريّات السّياسيّة الحديثة والمعاصرة؟

ولمعالجة هذه الإشكاليّة، وللوصول إلى هدف البحث، اِتّبعنا **مناهج** نذكرها كما يلي:

- المنهج الوصفي الذي يصف حالة إيطاليا في عصر ميكيافلي، إضافة إلى وصف الأحداث التاّريخيّة التّي اِستشهد بها ميكيافلي.

- المنهج التّحليلي من خلال تحليلنا للأفكار السّياسيّة التي أتى بها ميكيافلي، وتحليل السّياسة الحديثة والمعاصرة لمعرفة مدى تأثّرها بنظريّة ميكيافلي.

إن إختيار أي موضوع يتمّ وفق مبرّرات و**أسباب**، إذ ليس من الممكن أن يتوجّه الباحث لدراسة مشكلة دون أن تكون قد أثارت في نفسه العديد من الدّوافع. وممّا دفعنا للبحث في هذا الموضوع أسباب موضوعيّة وأخرى ذاتيّة:

- أسباب موضوعية: تتجلى في شخصيّة ميكيافيلي والّتي لازال صيتها فاعلا في الحياة السياسيّة.

- أسباب ذاتيّة: أهمها الشهرة التّي كسبها مكيافيلي دفعت بنا للإطلاع على أعماله ونظريته التي إشتهر بها، أيضا فضولنا لمعرفة سبب تسميته بشيطان السياسة من طرف البعض، وبالعبقريّ من طرف آخر.

وتكمن **أهميّة** الموضوع في أنّ ميكيافيلي له دور مهم في تطور الفكر السياسي، من خلال تأسيسه لمنهجٍ جديدٍ في السياسة، مناديا بأفكار تبشر بمحاولات لتجاوز الفكر الديني، وكذا بناء دولة قوميّة تتوحّد تحت رايتها جميع دويلات إيطاليا الممزّقة.

إنّ **الهدف** من هذا البحث هو إبراز دور الفكر السّياسي الميكيافلي في كيفيّة تحقيق الوحدة القوميّة الإيطالية، وكذا توضيح جوانب تأثير هذه النّظريّة على الأنظمة السّياسيّة والمعاصرة.

وكأي عمل انساني وبحث أكاديمي لا يخلو من النقص وقد تتعرّضه المصاعب، ولعلّ أهم **الصُّعوبات** الّتي واجهتنا والّتي دائما ما نسعى للتغلّب عنها من خلال العزيمة وإستسهال الأمور والتّوكّل على الله:

- كثرة الدّراسات والأبحاث العلميّة حول نظريّة السّياسة الميكيافليّة، ممّا أدى الى وجود الكثير من وجهات النّظر حول الموضوع المدروس. وهذا ما ألزمنا بالإتصال المباشر بأفكار ميكيافلي من خلال قراءتنا لمؤلفاته، وبالتّالي صعوبة الفهم الكامل لنصوص ميكيافلي.

- صعوبة الإلمام بالجانب التّاريخي من خلال تتبعنا للأحداث التّاريخية للحكام والملوك والّتي تمثّل الخلفيّة المهمّة في فلسفة ميكيافلي السّياسية.

في إطار دراستنا لهذا الموضوع، بدأنا بمقدّمة والّتي كانت عبارة عن تمهيد عام للموضوع، تطرّقنا فيها إلى توضيح النّقلة الّتي أحدثها ميكيافلي رائد النّهضة الإيطالية، ونقطة الفصل بين الفلسفة الوسيطة والفلسفة الحديثة.

فالفصل الأول كان عنوانه: نشأة التفكير السّياسي عند ميكيافلي، هو بمثابة بوابة للبحث تطرّقنا فيه للحياة الفكريّة لهذا الفيلسوف موضّحين نزعته ومنهجه السّياسي، ثمّ وقفنا عند الظّروف الّتي مهّدت لتبلور فكر ميكيافلي، بما فيها الظُّروف الفكريّة والثّقافية والسِّياسيَّة والاجتماعيَّة.

والفصل الثّاني المعنون بنظريّة الدّولة عند ميكيافلي، جاء فصلا محوريّا في البحث، تناولنا فيه مبادئ قيام الدّولة عند ميكيافلي أهمّها مبدأ القوّة، ومبدأ الفصل بين الأخلاق والدّين عن السّياسة، وعلى رأسها الطَّبيعة البشريّة.

أمّا في الفصل الثّالث المعنون بأثر الميكيافلية على الفكر الحديث والمعاصر. خصّصنا بالذّكر أثره على المستوى النّظري، وعلى مستوى الممارسة الواقعية لنظريّاته، فعلى المستوى الأوّل تناولنا توماس هوبز وفريدريك نيتشه، اللّذان اِتخذا من مبادئ ميكيافلي مرجعيّة فكريّة لبناء تصورّهما الفلسفي والسّياسي. وعلى المستوى الثّاني، حاولنا اِسقاط فكر ميكيافلي وكشف تمظهراته في الممارسات السّياسيّة في كلّ من الفاشيّة الإيطالية، والنّازيّة الألمانيّة.

الفصل الأول: نشأة التّفكير السّياسي عند ميكيافلي.

المبحث الأوّل: التطوّر الفكري للفيلسوف.

المطلب الأوّل: ترجمة لحياة الفيلسوف.

المطلب الثّاني: نزعة ميكيافلي الفلسفيّة.

المطلب الثّالث: مجمل أعماله ومؤلّفاته.

المبحث الثّاني: السّياق التّاريخي لنشأة فكر ميكيافلي.

المطلب الأوّل: الظّروف الفكريّة والثّقافيّة.

المطلب الثّاني: الظّروف السّياسيّة.

المطلب الثّالث: الظّروف الدّينيّة والاجتماعيّة.

المبحث الأوّل: التطوّر الفكري للفيلسوف.

المطلب الأوّل: ترجمة لحياة الفيلسوف.

ينحدر نيقولا ميكيافلي (1528-1469م) من عائلة فلورنسية قديمة تنتمي إلى فئة صغار النّبلاء، كان أبوه محاميا، ولم يتوانى في تعليمه وتربيته، فدرس القانون والفلسفة والتّاريخ.[1] فأفراد أسرة ميكيافلي لم يكونوا أغنياء أو أرستقراطيّين، بل كان لهم صلات وثيقة بأساتذة العلوم

[1]عبد الرّضا حسين الطعّان وآخرون، مدخل للفكر السّياسي الغربي الحديث والمعاصر،(د.ب)،2008م، ص29.

الإنسانيّة الأكثَر شأنا في المدينة.[1] ولذلك سمحت له الفرصة أن يَدرس العلوم القديمة على أيدي هؤلاء الأساتذة، فقد كان ميكيافلي طالبا مهتمّا ومتحمّسا للإطّلاع ودراسة هذه العلوم المتّصلة بالإنسان محاولا إعادة إحياء النّزعة الإنسانيّة من جديد وهذا ما سنوضّحه لاحقا.

ومن خلال إطلاعنا على مجموعة من مراجع لم نلمس تفاصيل حياة ميكيافلي التّعليميّة إلاّ القليل. ففي السّابعة من عمره بدأ يتعلّم اللاّتينيّة والّتي كانت تمثّل لغة الثّقافة والعلم آنذاك، وفي بداية شبابه اِنصبّ اهتمام ميكيافلي نحو الثّقافتين القديمة والحديثة فيقال أنّه قرأ خُطب الكاتب الرّوماني شيشرون(106 – 43 ق.م)، واِطّلع على مؤلّفات أرسطوAristotle(384-322ق.م)، كما تابع مؤلّفات رائدي النّهضة "دانتيDante(1265-1321م) – بترارك Petrarque(1304-1374م)"، لكن تبقى مدرسة ميكيافلي الأساسيّة ومرجعيّته الفكريّة هي الظّروف والوقائع السّياسيّة الإيطاليّة عامّة والفلورنسيّة خاصة آنذاك.[2]

يُعتبر ميكيافلي فيلسوفا سياسيّا مختلف عن الّذين تناولوا السّياسة من زاوية أدبيّة أو فلسفيّة أو أخلاقيّة، فقد كان اِهتمامه الرّئيسي البحث عن الوسائل الّتي تُوصل إلى السّلطة وكيفيّة الإحتفاظ بها.[3] وهذا يدلّ على أنّ نقطة الإختلاف بين فيلسوف السّياسة ميكيافلي والفلاسفة السّياسيّين الّذين سبقوه أمثال أفلاطون أنّه اِنطلق من الواقع، أي نظر إلى السّياسة اِنطلاقا من مشكلات واقعيّة، وأراد البحث عن حلول بإمكانها معالجة هذا الواقع الّذي كان يتعايش معه محاولا اِخراج إيطاليا من أزمتها السّياسيّة، ولم يكن تناوله للمشكلات السّياسيّة من منظور مثالي مجرّد يجعلنا حبيسي الفكر فقط، فميكيافلي يؤمن بالسّياسيّة الفعليّة لا بالسّياسة الطوباويّة*.

وعلى ذكر الواقع والظروف المساعدة لنشأة ميكيافلي والّتي سنُسهِب في توضيحها فيما بعد، فقط أودُّ أن أُلمّح لها دون الغوص في تفاصيلها لأنّنا لا يمكننا الحديث عن حياة هذا الفيلسوف بمعزل عنها، فهو وليد هذه الظّروف وهي من صنعت منه رجل سياسة أكثر من كونه فيلسوف. فخلال نشأة ميكيافلي في مدينة فلورنسا الواقعة وسط إيطاليا كانت تشهد تحوّلات أساسيّة في تركيبة النظام السّياسي الخاص بهذه المدينة، فمن حكم عائلة مديتشي و الّذي دام حتى عام 1494م، لتنتقل السّلطة بيد الرّاهب الدومينيكاني "سفونارولا" والّذي حكم بالحديد

---

[1] جان توشار، تاريخ الفكر السّياسي، تر:علي مقلد، الدّار العالميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط2، لبنان، بيروت، 1953م، ص101.

[2] كما مظهر أحمد، الموسوعة الصّغيرة: ميكيافلي والمكيافليّة، منشورات دائرة الشّؤون للثّقافة والنّشر، بغداد،1984، ص9.

[3] ستيفن ديلو، التّفكير السّياسي والنّظريّة السّياسيّة والمجتمع المدني، تر: ربيع وهبة، مراجعة:علا أبو زيد،المجلس الأعلى للثّقافة، ط2003،1م، ص209.

* الطوباويّة: مصطلح مؤلّف من لفظين(يوطوبيا) ومعناه المكان،(وأو) ومعناه ليس، إذن الطوباويّة هو ليس في المكان، وهو الخيالي أو المثالي.ويطلق هذا اللّفظ على المثل العليا السّياسيّة والإجتماعيّة الّتي يتعذّر تحقيقها لعدم بنائها على الواقع ولبعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته.(أنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني ، ج2، بيروت، لبنان، 1982م،ص24.

والنّار لمدّة ثلاث سنوات[1]. إذْ كان يُبشّر بإقامة دستور لفلورنسا تيوقراطي** ديمقراطي.[2] وسقوطه أدّى إلى فتح المجال لقيام نظام جمهوري دام مدّة 14 سنة.[3]

وبسبب سقوط حكم سافوناروﻻ الدّيني عام 1498م، بدأ مجلس المدينة بإقالة مؤيّدي حكم هذا الرّاهب من مناصبهم الحكوميّة، وأُقيل بذلك صاحب منصب الهيئة الإستشاريّة الثّانية "أليساندرو براتشينري" وبعد عدّة أسابيع رُشّح ميكيافلي ليعيّن بمنصب المستشار الدّبلوماسي الثّاني لجمهوريّة فلورنسا من سنة 1498م إلى غاية 1512م.[4]

إنّ الفترة الّتي اِشتغل فيها ميكيافلي سكرتيرا تعتبر بمثابة مرحلة إنتقالية، فقد تَعرّف على أقوى رجالات عصره المشتغلين بالحكم والسّياسة، وحتّى السّياسة الدّوليّة، ودرَسهم عن كَثب وهذا ما مكّنه من أن يبلور أفكاره و مشاهداته، ويطلق عليها بفنّ الحكم وعلم السّياسة[5]. فمشاهداته لرجال الحكم والسّياسة كان محور أكثر كتاباته، والّتي سنتطرّق إلى أهمّها وأهمّ ما جاء فيها.

ومن بين العوامل الّتي جعلت ميكيافلي في اِتّصال مباشر بشؤون السّياسة على الصّعيدين الدّاخلي والخارجي هي المهمّات الدّبلوماسيّة الّتي كان يقوم بها خارج فلورنسا، منها أربع مهمّات عند ملك فرنسا، وواحدة عند اِمبراطور ألمانيا، واِثنتان عند البابا، وغيرها عند القيصر سيزار بورجيا* الّذي كان يعجب به ميكيافلي، واتّخذه كمرجع يقتدى به لتحقيق سياسة ناجحة، وقد تحدّث عنه في كتابه الأمير[6].

في عام 1512م حدث ما لم يكن مُتوقّع، سقط النّظام الجمهوري الّذي كان قائما بسبب التدخّلات الأجنبيّة في الشّؤون الدّاخليّة لإيطاليا، وتعرّضت فلورنسا إلى غزو آخر من قبل شارل الثّامن ملك فرنسا، ممّا اِضطرّ أهل فلورنسا لإستدعاء أسرة آل مديتشي وبالتّالي اِستلمت هذه الأسرة زمام الحكم من جديد، وبعودة المديشيين للحكم، اِتُّهِمَ ميكيافلي بإشتراكه في المؤامرة الجمهوريّة للإطاحة بالأسرة الحاكمة، فاعتُقِل مع المُتآمرين وزُجّ به في السّجن وتعرّض

---

[1] مهدي محفوظ، اِتجاهات الفكر السّياسي في العصر الحديث، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت، 2007م، ص22.

** تيوقراطي: لفظ يوناني مركّب من لفظين (تيوس) ومعناه الله، و(كراطوس) ومعناه القوّة أو السّلطان، وهو يُطلق على كلّ نظام سياسي مبني على سلطان إلاهي تمثّله السّلطة الرّوحيّة.(أنظر: جميل صليبا، مرجع سابق، ج1، ص369.

[2] لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النّهضة الأوروبيّة، مركز الأهرام للتّرجمة والنّشر، ط1، القاهرة، 1987م، ص74.

[3] مهدي محفوظ،، مرجع سابق، ص22.

[4] كوينتن سكينر، ميكيافلي،مقدّمة قصيرة، تر: رحاب صلاح الدّين، مراجعة: هاني فتحي سليمان، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، ط1، القاهرة، 2014م،ص12.

[5] لويس عوض، مرجع سابق،ص74 .

* سيزار بورجيا:إبن البابا ألكسندر رودريجو بورجيا، قائد عسكري تولّى حكم رومانيا بدعم من والده، إشتهر بالوحشيّة والعنف، وأصناف الخداع.

[6] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص22.

للتعذيب وأُبعد عن وظيفته[1]. ولكن بعد مدّة توفّي البابا يوليوس الثّاني، واِستلم هذا المنصب "جوفاني دي مديتشي"، أدّى ذلك إلى فرحة عارمة أوساط مدينة فلورنسا، وكتعبير عن حالة الإبتهاج الّتي شهدتها أسرة آل مديتشي أقرّت الحكومة الفلورنسيّة إعلان عفو عام وأُطلق بالتّالي سَراح ميكيافلي[2].

وبعد خروج ميكيافلي من السّجن اِختار حياة العزلة في ريف "سانت أندريا"، وهنا بدأ ميكيافلي يتأمّل المشهد السّياسي بإعتباره محلّلا أكثر منه مشاركا[3]. وفي هذه الفترة الّتي دامت اثنا عشر عاما أَخرج ميكيافلي عصارة فكره، وخلاصة تجاربه وتحليلاته للواقع وللحكام والملوك من خلال تأليفه لأشهر كتبه « الأميرThe Prince 1513م»، «المطارحات The Discourse of Niccolo Machiavelli 1519م»، «فنّ الحرب The Art of War 1520م»

إضافة إلى الكتب الّتي ألّفها فقد كان يكتب الرّسائل، ففي رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه عندما كان في المنفى يَصف فيها كيف كان يقضي يومه في الرّيف قائلا:« ما زِلتُ أعيش في الرّيف منذ خروجي إلى المنفى، أستيقظ مبكّرا عند الفجر وأمضي إلى الغابة الصّغيرة، لأرى ما قام به الحطّابون من عمل»[4] فبعد أن يَتبادل الأحاديث والأقاويل مع الحطّابين يتوجّه لوحده إلى أحد التِّلال،حيث يقرأ لدانتي أو شيراك أو غيرهم، ثم يتناول غداء بسيط، ليذهب بعدها إلى الحانة ويلعب النّرد[5]. فيقول:« وعندما يحلّ المساء أعود إلى البيت، أدخل إلى المكتبة، بعد أن أنزع عنّي ملابسي الرّيفيّة الّتي غطّتها الوُحول، ثمّ أرتدي ملابس البِلاط والتّشريعات و أبدو في صورةٍ أنيقةٍ، وأدخل إلى المكتبةِ، لأكون في صحبة هؤلاء الرّجال الّذين يملأون كتبها، فيقابلونني بالتّرحاب وأتغذّى، على ذلك الغذاء، الّذي هو، في الحقيقة، ما أعيش عليه، والّذي جعل منّي الإنسان، الّذي هو أنا، وفي وسعي أن أتحدّث إليهم وأن أوجّه إليهم الأسئلة عن أسباب أعمالهم، فيتلطّفون عليّ بالإجابة، إنّني لم أعد أخشى الموت أو العوز... ولقد تمكّنت بالملاحظات الّتي دوّنتها من أن أضع كتابا صغيرا أسميته " الأمير" »[6]

وفي عام 1519م عندما كُلّف ميكيافلي بكتابة تاريخ فلورنسا من قبل البابا كليمنت السّابع (الكاردينال دي مديتشي)، حيث اِزدادت مشكلات إيطاليا وبالتّالي اِزداد شقاء ميكيافلي بعد أن اِعتقد أنّه قد أصلح علاقاته مع أسرة آل مديتشي، لكن بسبب تآمر الدّول الخارجيّة(ألمانيا و

---

[1] المرجع نفسه،ص22.

[2] كوينتن سكينر، مرجع سابق، ص29.

[3] كوينتن سكنر،أسس الفكر السّياسي الحديث تر:حيدر حاج إسماعيل، ج1، المنظّمة العالميّة العربيّة للتّرجمة، ط1، بيروت، لبنان،2012م، ص23.

[4] نيقولا ميكيافلي،الأمير(تراث الفكر السّياسي قبل الامير وبعده)،تر:خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة،ط11، بيروت، 1981م، ص22.

[5] المصدر نفسه،ص22.

[6] نيقولا ميكيافلي، الأمير(تراث الفكر السّياسي قبل الامير وبعده)، تر:خيري حمّاد، مصدر سابق، ص22.

فرنسا) للسّيطرة على إيطاليا أدّى إلى طرد عائلة مديتشي من فلورنسا مرّة أخرى[1]. وما لبث ميكيافلي أن توفّي عام 1527م وقد دُفنت معه طموحاته وأهدافه الّتي كان يتمنّى أن يحقّقها، ولكن مع ذلك ترك وراءه اِرثه الفكري القيّم والّذي يُعتبر من أهمّ ما وُضع في تلك الفترة إضافة إلى المؤلّفات الّتي تكشِف عن منهجه المُتّبع في دراسته للسّياسة،[2] وسنوضّح ذلك أكثر في المطلب القادم.

المطلب الثّاني: نزعة ميكيافلي الفلسفيّة.

إنّ الظّروف التّي عايشها مكيافيلي والواقع الذّي كان سائدا آنذاك جعلته يتفرّد بأسلوبه ويسلك مسلكا غير الّذي سلكه سابقوه من الفلاسفة السّياسيّين، فقد« فسّر الكُتّاب السياسيّون في العصور الوسطى السّياسة بمثاليّة وفي إطار الدّين النَّصراني، ولكنّ ميكيافلي فسّر السّياسة بصورة واقعيّة على وجهة نظره للطّبيعة الإنسانيّة في إطار التّاريخ »[3]

وهنا نلمس الإنقلاب الّذي أحدثه ميكيافلي على الحكم الكنسي وعن رجال الدّين، ويظهر هذا واضحا من خلال أسلوب فكره الّذي يعتبر مخالفا تماما عن الفكر الدّيني وبعيدا عن مثاليات العصور الوسطى، ونقطة تحوُّل بين دراسة ما ينبغي أن يكون وبين ما هو كائن، وهذا الأخير هو ما يُعنى به ميكيافلي.

تظهر نزعة ميكيافلي جليّة في كتابيه" الأمير" و "المطارحات" وهي نزعة واقعيّة بعيدة عن التّنظير الفسلفي السّياسي[4]. حيث يقول ميكيافلي في كتابه الأمير: « إنّ قصدي أن أكتب شيئا يستفيد منه من يقرأُوني، لذلك من الأفضل أنْ أَمضي إلى تناول الحقائق الموضوعيّة بدلا

---

[1] ميكيافلي، الأمير،تر: أكرم مومن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2004م، ص11.
[2] مهدي محفوظ،، مرجع سابق، ص22.
[3] نيقولا ميكيافلي، فنّ الحرب، تر:صالح صابر زغلول، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، القاهرة، 2005م، ص14.
[4] موسى إبراهيم، الفكرالسّياسي الحديث والمعاصر، دار المنهل اللّبناني،ط1، بيروت،2011م، ص24.

من التصدّي للأمور الخياليّة، لا سيما وأن الكثيرين، قد تخيَّلوا جمهوريّات وإمارات لم يكن لها وجود في عالم الحقيقة، إنّ الطّريقة التّي نحيا فيها، تختلف كثيرا عن تلك الّتي تخيّلوها »[1]

لقد استعان ميكيافلي بخبراته الواسعة في مجال الخدمة المدنيّة والدّبلوماسيّة من ناحية، وبقراءته واِطّلاعاته الموسوعيّة في كتب التّاريخ وتجارب الأمم السّابقة، من أجل تشخيص حالة الإنحطاط الّتي شهدتها إيطاليا من جهة ثانية. ولذلك انغمس في دراسة الماضي ليستخلص العبر والدّروس من العصر الذّهبي للإمبراطوريّات الرّومانيّة، حتّى يؤكّد لهم أنّ إيطاليا بإمكانها أن تنهض من جديد وتحقّق وحدتها[2].

فالفكر السّياسي عند ميكيافلي كان يعتمد على التَّجربة الّتي اكتسبها نتيجة مجال واسع من المشاهد السّياسيّة والإطِّلاع على التّاريخ السّياسي، فقد اِنصبّ اِهتمام ميكيافلي على فنّ السّياسة و أساليب الحكم العمليّة، ولذلك طغى الطّابع العملي عنده عن العمق الفلسفي.[3]

ويُعتبر ميكيافلي من بين المساهمين في تطوير دراسة الظّاهرة السّياسيّة، وفي تحصيل المعرفة السّياسيّة الواقعيّة معتمدا بذلك على التّاريخ، وساعياً لِإكتشاف قوانين السِّياسة وكيفيّة سير المجتمعات من خلال مراقبته للظّواهر الّتي يكشفها التّاريخ[4].

وبالتّالي فإن ميكيافلي هو أوّل من وضع التّعاليم السّياسيّة للحكم، وتقوم هذه التّعاليم على الخبرة والتّجربة، إذْ أنّه لم يتّخذ من العقل المجرّد حكَمًا، بل الحَكم هو ما يُشاهده بنفسه وما يتوقّعه أن يحدث فعلا، فكتاب الأمير خير دليل على واقعيّة ميكيافلي المستمدّة من الأحداث التّاريخيّة والّتي يبرّر من خلالها نظريّاته. [5]

[1] نيكولا ميكيافلي، الأمير، تعريب: خيري حمّاد، منشورات دار الآفاق الجديدة،ط11، بيروت،1981م، ص135.
[2] عبدالخالق عبد الله، حكاية السّياسة، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت،2006م، ص ص 161، 162.
[3] محمّد علي محمّد و عبد المعطي محمّد، السّياسة بين النّظريّة والتّطبيق، دار المعرفة الجامعيّة،(دب)، 2002م، ص 118.
[4] قحطان أحمد الحمداني، المدخل إلى العلوم السّياسيّة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، ط1 عمّان، الأردن،2012م، ص54. [4]
[5] روبرت تسيمر، في صحبة الفلاسفة(مدخل لاعمالهم الفلسفيّة الرّائدة) تر: عبد الله محمّد أبو هشّة، دار الحكمة، لندن،2011م، ص45.

المطلب الثّالث: مجمل أعماله و مؤلّفاته.

بعد ما تطرّقنا إلى الحوادث الخاصّة بحياة ميكيافلي، وأهمّ محطّات حياته، سنسلّط الضّوء في هذا المطلب عن الأثر الّذي تركه ميكيافلي، فقد ألّف هذا الأخير في التّاريخ والسّياسة والتّمثيل والمسرح، ونظّم الشّعر، ودوّن رسائل وقصصًا وغير ذلك، لكن ما يهمّنا في بحثنا هذا هو الكتب الّتي تُعتبر مرآة عاكسة لفكر ميكيافلي السّياسي، ولنظرّيته في الدّولة، لذلك فقد خصّصنا بالذّكر ثلاث أهمّ مؤلّفات لميكيافلي وهي: كتاب الأمير، كتاب المطارحات، كتاب فن الحرب. وسنقدّم فكرة عامّة عن كلٍّ من هذه المؤلَّفات.

1_ كتاب الأمير:

ألّف ميكيافلي هذا الكتاب عام 1513 م وطُبع عام 1532م، وقد وضّح فيه معظم أفكاره وبيّن لنا من خلاله الطّريقة الّتي يكتَسب بها الحاكم القوي السُّلطة ويحافظ على بلده[1]. ويعالج "الأمير" الحكومات الموناركيّة* وأساليب الحكم، والوسائل المؤدّية لقوة الدّولة، والسّياسة العامّة الّتي تستطيع أن تحقّق أهدافها، إضافة إلى التّدابير العسكريّة والسّياسيّة[2].

وعلى الرّغم من أنّه كُتِب بطريقة مبسّطة وبلغة غير معقّدة ومباشرة ليفهمه عامّة النّاس، إلاّ أنّه لقي العديد من الإنتقادات و التّفسيرات و الهجومات، ووصفوه بأنّه عمل الشّيطان، وأنّه سخرية وتحذير، كما أنّه نال الكثير من الثّناء، فقد اِعتبره البعض بأنّه فاتحة علم السّياسة، وترنيمة للحريّة، وأنّه وصف للواقع السّياسي[3].

إذن فكتاب الأمير عبارة عن مجموعة من دروس في الحكم، ومليء بنماذج من خبرة ميكيافلي الدّبلوماسيّة ومجمل مطّلاعاته في التّاريخ القديم.[4]

وقد أهدى ميكيافلي هذا الكتاب إلى الحاكم الجديد لفلورنسا ليُظهر له براعته وذكائه، وحتى يدعوه من خلاله لتوحيد إيطاليا. ولذلك اِستهل كتابه برسالة إلى الحاكم لورينزو فقال:«... أودّ أن أُهدي سموّكم الكريم شيئا متواضعا يدلّ على إخلاصي لكم، ولم أجد فيما أملك ما هو أغلى من معرفتي بأعمال ومنجزات عظماء الرّجال، وهي معرفة اكتسبتها من خلال تجربة طويلة ... إضافة إلى ما درسته حول ما حدث في الماضي »[5]

---

[1] نيكولا ميكيافلي، فن الحرب، مصدر سابق، ص15.

* المنوراكيّة: يقصد بها الحكومة الفرديّة، تكون السّلطة فيها لفرد واحد، يحكم ويأمر دون الاستناد إلى الشّعب الّذي يحكمه.(أنظر:علي هادي حميدي الشّكراوي، محاضرة: أشكال الحكومات، كليّة القانون، جامعة بابل، 16-12-2011م، www.uobabylon.edu.iq) .

[2] المصدر نفسه، ص 23،22.

[3] كافين رايلي، الغرب والعالم، تر: عبد الوهاب محمّد المسيري و هدى عبد السّميع حجازي، عالم المعرفة، (د.ب)،(د.س)، ص8.

[4] المرجع نفسه، ص 9.

[5] نيكولا ميكيافلي، الأمير، تر: أكرم مؤمن، مصدر سابق، ص 19.

2_ كتاب المطارحات:

يبحث هذا الكتاب في توسيع الجمهوريّة الرّومانيّة حسب التّاريخ الرّوماني الّتي كتبه تيتوس ليفيوس.[1]

ويقدّم ميكيافلي في هذا المؤلَّف مجموعة من النّصائح العمليّة للحكّام حول كيفيّة ممارسة السُّلطة وبناء نظام سياسي قويّاً ومستقرّا ومتماسكاً[2]. وبدأ كتابته عام 1513م وانتهى منه عام 1519م[3].

ويتحدّث ميكيافلي في المطارحات عن الطّريقة الّتي يجب أن تُعاملَ بها الدُّول قادتها العسكريّين، إضافة إلى الأسلوب الّذي يجب أن يَتّبعه هؤلاء القادة في معاملة حكوماتهم و جنودهم[4].

وكان الهدف الّذي يسعى إليه ميكيافلي من خلاله تأليفه لهذا الكتاب إلى التَقصّي والكشف عن العوامل الّتي أوصلت روما إلى المكانة الرّفيعة الّتي حازتها، وما مكّن الرّومان من اِعتلاء قمّة العظمة، باعتباره يبحث عن سبل اِنقاذ إيطاليا، واِيصالها إلى مستوى الدّول المستقلّة[5].

[1] نيكولا ميكيافلي، فن الحرب، مصدر سابق، ص 15.
[2] عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق ، ص 163.
[3] نيكولا ميكيافلي، المطارحات، تعريب: خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة،ط3، بيروت،1982م، ص86.
[4] المصدر نفسه،ص 89.
[5] محمّد خاتمي، مدينة السّياسة، دار الجديدة، ط1، بيروت، لبنان، 2000م، ص 192،193.

وقد قسّم ميكيافلي كتابه إلى ثلاثة أقسام، ففي القسم الأول تحدّث عن القرارات الّتي اتّخذها الرّومان في شؤونهم الدّاخليّة، وفي القسم الثّاني اِنتقل إلى الحديث عن الإجراءات الّتي اِتّبعها الشّعب الرّوماني لتوسيع اِمبراطوريّته، وفي القسم الأخير وضّح أعمال بعض الرِّجال الّذين ساهموا في عظمة روما وما حقّقت من نتائج نافعة، فقد سرد وقائعهم وعدّد ما قاموا به من أعمال[1].

3_ فنّ الحرب:

وهو الكتاب الوحيد الّذي طُبع في حياة ميكيافلي، حيث أكمل كتابته بين عامين" 1519م و 1520م"[2].

وقد قال فولتير عن كتاب فن الحرب:« لقد علّم ميكيافلي أوروبا فن الحرب الّذي نمارسه منذ زمن طويل دون أن نعرفه»[3]

ويدلُّ قول فولتير على أن ما توصّل إليه ميكيافلي وما وضعه في هذا الكتاب قد لقيَ صدىً في السّاحة الأوروبيّة وفي القيادة العسكريّة واِعتمدوا على مبادئ ميكيافلي واِعتبروها مرجعا يُقتدى ويُؤخذ به لتسيير الحروب.

وبالتّالي فإنّ ميكيافلي قدّم لنا من خلال هذا الكتاب مجموعة من التّعاليم والوصفات تتعلّق بكيفيّة تحضير جنودك وتحطيم معنويات الأعداء وتجنّب الكمائن، إلى غير ذلك من اِستراتيجيّات تساعد القائد العسكريّ على قيادة الحرب وتحقيق النّصر والتصدّي للعدوّ.[4]

---

[1] نيكولا ميكيافلي، المطارحات، مصدر سابق، ص 82.
[2] نيكولا ميكيافلي، فن الحرب، مصدر سابق، ص 14، 22.
[3] المصدر نفسه، ص 12.
[4] المصدر نفسه، ص33.

المبحث الثّاني: السّياق التّاريخي لنشأة الفكر الميكيافلي.

المطلب الأوّل: الظّروف الفكريّة والثّقافيّة.

شهدت إيطاليا عامّة وفلورنسا خاصّة في تلك الفترة نهضة حيويّة تعدّ اِنقلابا على كلّ التّقاليد القديمة الّتي كانت سائدة في العصور القديمة.

بل إنّ « مفهوم النهضة في حدّ ذاته مفهوم هجومي أو جدالي فالنّهضة لاتجيء إلاّ بعد الإنحطاط»[1] يحيلنا هذا الكلام على أن النّهضة تعني الإستقاظ بعد النّوم، أو التذكّر بعد النّسيانّ وما يقصد به هنا هو فترة الرّكود الفكري في العصر الّذي سبق عصر النّهضة وهو العصر الوسيط.

فهذه النّهضة تزامن ظهورها مع ظهور الطبقة البرجوازيّة*، لأنّه من غير الممكن أن تقوم- النّهضة- في ظلّ النّظام الإقطاعي الكنسي لأن هذا النّظام لا يسمح بأيّ تغيير يتناقض مع أسسه[2]. ومع ظهور الطّبقة البرجوازيّة في المدن الإيطالية -هذه الأخيرة قد تحررّت من سيطرة الإقطاع قبل المدن الأخرى ممّا ساعدها على تبنّي النّهضة الأوروبيّة- إزداد الإهتمام بالجانب الفكري والعلمي و القراءة والكتابة واِنتشارها بسبب حاجة البرجوازيين إليها في الأعمال الحسابيّة والماليّة، إضافة إلى اِنتشار التّعليم المدني بجانب التّعليم الدّيني[3].

وكانت الكنيسة كما ذكرنا هي مصدر العلاقات الإنتاجيّة القديمة الفكريّة، وكانت تعاليمهم تحتقر الجسد ومتاع الدنيا، وتدعو الإنسان على أن يقف موقفا سلبيّا مع الحياة، وكانت مصدر تعاليمهم هو التّفكير المدرسي الّذي لا يوجّه أي اِهتمام للإنسان إذْ أنّ مبادئ المدرسة الكنسيّة لا تقدّم حلولا لمشاكل الإنسان البرجوازي، وكما كان يرى روجر بيكون Roger Bacon(1214-1294م) أنّ هذا التّفكير لا يولي أهميّة كبيرة للعلم بل كان يصب اِهتمامه في الجدل المنطقي والميتافيزيقي، وبالتّالي فقد أخذت هذه الطّبقة الّتي تستمد حياتها من نشاطها و حاجتها إلى الإستمتاع في هذه الحياة بالبحث عن مصدر لحلّ مشاكلها فاتجهت لحياة الأقدمين والّتي أوْلت اهتماما بالجانب الإنساني ولديها موقف إيجابي من الحياة، وهكذا ظهرت حركة اِحياء الدّراسات اليونانيّة والّتي لم تكن بأيدي الطّبقة البرجوازيّة فقط، بل بوجود هذه الطّبقة فُسح المجال وهُيّأ المناخ لنموّ هذه الدّراسات[4].

---

[1] هاشم صالح، سبينوزا والدّين، مدخل إلى التّنوير الأوروبي، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2005،ص78.

* الطّبقة البرجوازيّة: هي طبقة نشأت في عصر النّهضة الاوروبيّة بين الأشراف والزرّاع، ثمّ صارت في القرن التّاسع عشر مالة لوسائل الإنتاج، وهي متوسّطة بين طبقة النّبلاء وطبقة الشّعب، يتميّز أفرادها على غيرهم بثقافاتهم ودخلهم وممارستهم لإحدى المهن الحرّة(أنظر: جميل صليبا، مرجع سابق، ج1، ص1982)

[2] عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، ج1، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،(دب)، 1998م، ص ص 49،50.

[3] المرجع نفسه، ص 51.

[4] عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص 53-58.

وهكذا نجد أن عصر النّهضة هو بداية من نقطة الصّفر وإحداث قطيعة مع العصر الكنسي، واِكتشاف معنى جديد للحياة، وأصبحت الحياة قيمة في حدّ ذاتها بعد ما كانت تافهة لا تساوي شيئاً في نظر أناس العصور الوسطى.

وبالتّالي أُعيد الإعتبار للإنسان و أَطلق العنان لعقله وفكره بعد أن كان مقيّدا ومكبّلا بقيود دينيّة من طرف رجال الكنيسة وينتج عنها ولادة الحركة الإنسانيّة Homanism واِنبثاقها من جديد خاصّة في إيطاليا وبالتّحديد في فلورنسا[1].

ورغم ما اِتّصف به لورينزو-حاكم فلورنسا آنذاك- من فساد وغلوّ واِنحلال أخلاقي، ورغم أن حكمه كان قائما على الإستبداد والقتل وكلّ أنواع الوحشيّة، فقد تحلّى بالفضيلة في جانب اِهتمامه بالفنون والآداب، وعلى الرّغم من كلّ ما اِتسمت به فلورنسا في عهده من فسق و مجون، إلاّ أنّه قد اِنتشرت فيها الثّقافة من خلال اِطّلاع شعبها على الكلاسيكيّات و آداب الأقدمين، وحتّى النّساء كُنّ يتقنّ اللّغتين الإغريقيّة واللّاتينيّة، كما اِزدهر فنّ العمارة والرّسم[2].

فقد كانت أعمال الحالكم" كوزيمو دي مديتشي 1389-1464م" مشجّعة للنّهضة إذ قام بإنشاء مكتبة كبيرة سنة 1433م في البندقيّة، وأصلح مكتبة "سان ماركو" في فلورنسا سنة 1441م، وكان لهاتين المكتبتين أثر في تطوّر حركة النّهضة الإيطالية. كما أن «لورينزو1449-1492م» حفيد كوزيمو نفسه كان أمير الفن والشّعر ووصلت أكاديمية فلورنسا عهدها الذّهبي في زمانه، وظهر في عصره «ليوناردو دافنشي1452-1519م» إذْ كان مثالا كبيرا وشاعرا وموسيقيا وعالما ومن المولعين بالحريّة[3].

ومن مظاهر الحركة الإنسانيّة أيضا هو قيام الأكاديميّات وهذه الأخيرة كانت عبارة عن مراكز يجتمع فيها الطّلبة حول الأساتذة للإستماع والمناقشة، وبسبب هذه الأكاديميات اِنتشرت هذه الحركة اِنتشارا عظيما في جميع المدن الإيطاليّة، وقد نشأت في مدينة فلورنسا أكاديمية عرفت بِاسم الأكاديميّة الفلورنسيّة أو الأكاديميّة الأفلاطونيّة، يشرف عليها مارسيلو فيتشينو(1423-1499م)، وقامت الأكاديميّة بدور مهمّ في الحياة العقليّة والفكريّة في فلورنسا أواخر القرن الخامس عشر وبداية لقرن السّادس عشر[4].

وزامن ظهور النّهضة اِكتشاف الطِّباعة عام 1455م من طرف الألماني "غونتمبرغ 1398-1468م"، وأصبحت وسيلة من أجل نشر الأفكار النَّهضويّة بسرعة وعلى أوسع نطاق، بعد أن كانت المؤلّفات تكتب باليد وتستغرق فترة طويلة من أجل النّسخ[5]. وقد ساهم هذا

---

[1] هاشم صالح، مرجع سابق، ص 79.
[2] بول ستراثيرن، موت في فلورنسا، تر: ناصر مصطفى أبو الهيجاء، هيئة أبو ضبّي للسّياحة والثّقافة، ط1، 2015، ص174.
[3] عبد الرّحمان عبد الرّحيم، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، دار الكتاب الجامعي، ط3، القاهرة، 1986م، ص 32-40.
[4] عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص 66.
[5] هاشم صالح، مرجع سابق، ص 80.

الإختراع في التطوّر العلمي من خلال بعث التّراث ونشر الأفكار والمعارف، ولولاه لظلّت القراءة والكتابة حِكرا على النُّخبة من أبناء الفئات الإجتماعيّة ورجال الدّين، ولكن على العكس أصبحت الكتب في متناول عامّة النّاس[1].

وبالتّالي فقد كان أناس عصر النّهضة الإيطالي آنذاك كمن فتح عينه لأوّل مرّة، ليرى العالم بعيون متفائلة، فكانوا كمن خرج فجأة من الظّلمات إلى النّور، وأصبح يشعر بالقدرة على تغيير العالم، وهكذا ظهرت النّزعة الإنسانيّة أو مايعرف بمذهبHumanism والمشتق من كلمة Humanوالّتي تعني الإنسان، وهدفه تحقيق المثالِ الأعلى للكمال الإنساني في كافّة المجالات: أخلاقيّة، فنيّة، جماليّة، اِجتماعيّة، سياسيّة، فالحركة الإنسانيّة حركة متفائلة بالإنسان وبقدراته على العطاء والإبداع، والتوصّل إلى أقصى حدود الكمال، وتعتقد أن الإنسان هو مقياس كلّ شيء، ومركز الكون وهو مخلوق بإمكانه تجسيد إرادة الله على الأرض[2]. إذن فإنّ عصر النّهضة حمل معه هذه النزعة الّتي تعتبر تعبيرا جديدا عن إعادة اِكتشاف الفرد، وصحوة الشّخصيّة، بعيدا عن النّصوص المقدّسة، فشعار هذه النّزعة العودة إلى الآداب القديمة للتحرّر من قبضة الثّقافات السّائدة في العصور الوسطى، والرّفع من شأن حريّة الفكر، ورفض نزعات الزّهد[3].

إذاً فهذه العوامل الّتي أدّت إلى بعث نهضة فكريّة كانت بمثابة أرض خصبة جعلت أفكار ميكيافلي تنمو وتزهر وتكون بذلك ثمارها دواء للظّروف السيّاسيّة الصّعبة الّتي تعرّضت لها إيطاليا عامّة وفلورنسا خاصّة، وهذه الظّروف هي ما سنوضّحه أكثر في العنصر القادم.

---

1 جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر:علي المزروقي، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، ط1، لبنان، بيروت، 2006م، ص142.
2 هاشم صالح، مرجع سابق، ص 77،75.
3 صلاح قنّوصة، الدّين والفكر والسّياسة، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2003م، ص44،43.

المطلب الثّاني: الظّروف السياسيّة.

بالرّغم من نشوء الدّولة الوطنيّة في مختلف أنحاء أوروبا الغربيّة في القرن الخامس عشر والسّادس عشر، إلاّ أن إيطاليا بقيت مقسّمة ومفكّكة إلى خمس دويلات كبيرة متنافسة ومتنازعة فيما بينها[1]. وأدّى هذا الإنقسام إلى تناحر وتصارع بين حكامها المستبديّين الفاسدين والأنانيين والّذي كان همّهم وهدفهم البقاء في السّلطة بأيّ شكل من الأشكال، وهذا ما أدّى إلى تدهور الأوضاع السّياسيّة وتفاقم المشكلات[2].

وهذا الإنقسام كان كالتّالي[3]:

1-مملكة نابولي في الجنوب
2-دوقيّة ميلانو في الشّمال الغربي.
3-الجمهوريّة الأرسقراطيّة أو البندقيّة في الشّمال الشّرقي.
4-جمهوريّة فلورنسا.
5-الدّولة البابويّة في الوسط.

«إن هذه الدّول كانت بصورة متكرّرة دمى في أيدي القوى العظمى وذات المطامع الواسعة، الّتي هي فرنسا و إسبانيا و هاسبورغ »[4]

كان يسود في إيطاليا الإنحطاط المؤسَّساتي، حكم اللّصوص والقراصنة وقطّاع الطّرق و أبناء الزّنى والمرتزقة والتجّار الّذين تحوّلوا إلى أمراء بحكم التمزّق السّياسي السّائد. وكانت الجريمة ترتكب في وضح النّهار دون أي رادع أمني أو أخلاقي، وحتّى المؤسّسات الحكوميّة كانت تتستّر على عمليّات النّهب وتمارس الفساد والقمع والإضطهاد[5].

أصبحت الحياة لا تطاق في مدن إيطاليا وخاصّة فلورنسا كانت تعاني من اِضطرابات دائمة وصراعات بين الأغنياء والفقراء، وكانت الصّراعات الأشدّ عنفاً بين أفراد الطّبقة الأرستقراطيّة الحاكمة الّتي تحرّرت من كافّة القيود والضّوابط وأصبحت تعاملاتها أسوء من الحيوان، وكما ذكرنا سابقا كلّ هذه الصّراعات أدّت إلى الفراغ السّياسي وهذا الوضع اِستغلّته الدّول الخارجيّة وأصبحت بذلك إيطاليا عرضة للإختراق الخارجي وخاصّة فرنسا والّتي بسطت هيمنتها السّياسيّة على إيطاليا وتدخّلت في جميع شؤونها[6].

---

[1] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص19.
[2] عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص160.
[3] روبرت تسيمر، مرجع سابق، ص47.
[4] المرجع نفسه، ص47.
[5] عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص160.
[6] عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص161.

وما شهده العصر من هزائم حربيّة متوالية وما ترتّب عن هذه الحروب من كوارث ونكبات أَجبرت النّاس على الرّضوخ لحكم الأمراء الطّغاة والمستبديّن، مادام يكفل لهم الإستقرار والأمن والبقاء في رخاء[1].

وعلى مدار القرن الخامس عشر، كانت فلورنسا تدار بواسطة أسرة واحدة هي مديتشي كانت تمثّل نخبة حاكمة، وكانوا يقيمون جمهوريّة تقوم على الصّالح العام حتّى سنة 1494م، حيث اِنتهى حكمهم[2].

ورغم الإستبداد الّتي كانت تعيشه فلورنسا من قبل الحكام الطّغاة إلاّ أنها كانت مزدهرة وتعيش نوع من الرّفاهية، ويرجع الفضل في إزدهار فلورنسا إلى الرّجلين "كوزيمو دي مديتشي" و ابنه "لورينزو الرّائع" إذ أن كوزيمو هو أول من أنجز تفوّقا واضحا، وسلطته كانت تعتمد على مهاراته في الإنتخابات وكان داهية، ليّنا حينا وقاسيا حين الضّرورة، ثم حكم بعده ابنه لورينزو وسار على نهج خطى والده، وأسّسا ثروة جنياها من التّجارة بين سنتي (1492-1469)[3].

وفي شباب ميكيافلي كانت مقاليد الحكم في يد لورينزو، حيث نعمت فلورنسا تحت حكمه بالرّخاء والرّفاهيّة رغم قسوة هذا الحكم الّذي مارسه لورنزو على الشّعب بسفك الدّماء و الإستبداد و نهب أموال الدّولة واِنفاقها في اللّهو والمجون و اِشباع الملذّات والشّهوات، وهكذا اِنشغل أهل فلورنسا بالرّقص والغناء والمتعة ولم يعد يهمّهم بلوغ حريّتهم[4]. استمرت الجمهوريّة وهي ديمقراطيّة من حيث القصد ولكنّها ثيوقراطيّة الحكم فيها للطّبقة الغنيّة من حيث الواقع حتّى عودة أسرة مديتشي للحكم عام 1512[5].

في كلّ هذه الظّروف الّتي تعيشها إيطاليا عامّة وفلورنسا خاصّة كان ميكيافلي يتأمّل باحثا عن مخرج لهذا المأزق، وحلّ ينجّي إيطاليا من هذا الشّتات والهوان[6]. وأرجع سبب تدهور الاوضاع السّياسيّة إلى الحُكّام والزّعماء لأنهم يفتقدون إلى معرفة السّياسة وكيف ينبغي أن تُمارس السّلطة، أي أن مشكلة إيطاليا بالدّرجة الاولى في حكّامها المتناحرين فيما بينهم على مصالح ماديّة وشخصيّة بعيدة عن هموم إيطاليا، وما تعيشه إيطاليا هو أزمة غياب القائد

[1] نبيل راغب، أسرار المطبخ السّياسي، دار الغريب للطّباعة والنّشر، القاهرة،(د.ب)،ص12.
[2] ستيفن ديلو، التّفكير السّياسي والنّظريّة السّياسيّة والمجتمع المدني، تر: ربيع وهبة، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، 2003م، ص148.
[3] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة السّياسيّة، تر: محمّد فتحي الشنيطي، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، (د.ب)، 1977م، ص14.
[4] بول ستراثيرن، مرجع سابق، ص173.
[5] برتراند راسل، مرجع سابق، ص15.
[6] عبد الرّضى حسين الطّعّان وآخرون، مرجع سابق ص30.

الوطني والزّعيم والحاكم العادل والأمير المُخلص ورجل السّياسة القادر على السّيطرة وغرس الثّقة في نفوس الشّعب الإيطالي إزاء الحكّام[1].

ورغم سوء الأوضاع السّياسيّة آنذاك، إلاّ «أنّ ميكيافلي كان متيقّنا بأن نور الإنتصار سيشعّ وبأن ظلام التشتّت والضّعف سيندثر ويغيب.»[2] وفي ضِخَمِ هذا الضُّعف وتزعزع قاعدة الدّولة وتصادم مصالح حكّمها وتضارب غاياتهم وعدم اِكتراثهم للحالة الّتي وصلت لها إيطاليا من تشتّت وهوان، وسط كلِّ هذا كيف ستكون الظّروف الدينيّة؟ وما هي حالة المجتمع الفلورنسي الّذي تربّى وسطه ميكيافلي في عصر حكّام لا يهمّهم سوى أمورهم الشّخصيّة؟ سنحاول الإجابة عن هذا السّؤالين في المطلب الآتي.

المطلب الثّالث: الظّروف الدينيّة والاِجتماعيّة.

كما ذكرنا سابقا فإنّ فلورنسا شهدت في ذلك الوقت نهضة حيويّة تعدّ اِنقلابا على كلِّ التّقاليد القديمة الّتي كانت سائدة في العصور الوسطى، وقد ساعدت هذه النّهضة في إحداث تغيّرات اِجتماعيّة ودينيّة، وأصبح بذلك المجتمع يعيش حريّة لا محدودة بعد أن كان مقيّدا بمبادئ الكنيسة في العصور الوسطى، وقد أدّت هذه الحريّة إلى الإستهانة بالتّقاليد المرعية والكوابِح الأخلاقيّة[3].

نستطيع القول أنّ سبب تدهور الأوضاع الدّينيّة في ذلك العصر هو الصّراعات الّتي حدثت داخل الكنيسة، ففي بداية النّهضة اِنقسمت الكنيسة وبدأت بوادر الضّعف تظهر عليها، فالدّول الأوروبيّة اِنقسمت بين مؤيّدي بابا روما وبابا أفنيون، وكانت إيطاليا بذلك مؤيّدة لبابا روما، وهذا الإنقسام خلق تنافس بين الباباوات بالتقرّب من الملوك ومنحهم المزيد من الإمتيازات السّياسيّة لكي يضمن اِستمرار ولائهم له، وبذلك اختفى مركز البابا الّذي كان يجعله الرّئيس الرّوحي لأوروبا المسيحيّة، ممّا دفع بالباباوات لفرض ضرائب واِبتداع وسائل جديدة للحصول على المال مثل: بيع صكوك الغفران، أدّى بذلك إلى انتشار موجة من النّفور والتذمّر ضدّ الكنيسة ورجال الدّين[4].

إنّ حالة البذخ والرّخاء المّادي الّتي كان يعيشها المجتمع الفلورنسي بسبب انتشار النّهضة وبزوغ حضارة مزدهرة، وبسبب رفاهيّة الحكّام وميلهم إلى إشباع نزواتهم ورغباتهم، أدّى بالإنسان إلى الخروج عن القانون، وعجزه عن السّيطرة عن شهواته وبالتّالي ضعف الوازع الدّيني واِنهيار المعايير الأخلاقيّة[5].

---

[1] عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق،ص162.
[2] محمّد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السّياسيّة، دار الفكر، ط1، دمشق، 2010م، ص136.
[3] نبيل راغب، مرجع سابق، ص 11.
[4] مهدي محفوظ،، مرجع سابق، ص13.
[5] نبيل راغب، مرجع سابق، ص 11.

وفي وسط هذه الظّروف الاجتماعية المتدهورة اِنقسمت القوى الدّينيّة إلى قسمين: قسم حكومي كان يدخل في تحالفات السّياسة ضمن جماعات المصالح الإقتصاديّة مثل ما فعل باباوات روما،وقسم شعبي متمسّك بأصول الدّين، كان همُّه اِصلاح الأوضاع الّتي آلت إليها فلورنسا من فساد وخراب واِنحلال أخلاقي[1]. وكان الرّاهب سافونارولا ممثّلا للقسم الثّاني وقد أتى إلى إمارة فلورنسا واعظا ومبشّرا بتعاليم الدّين، وناهيا جماهير البلاد عن كلّ أشكال اللّهو والفساد.[2]وكانت نهايته أن أعدم حرقا في فلورنسا عام 1498م بتهمة الزّندقة لأنه هاجم وحاول التصدّي لبابا ألكسندر السّادس، وكان يبشّر بإقامة دستور فلورنسي ثيوقراطي ديموقراطي[3]. والكفّة الّتي كانت راجحة هي الخاصّة بقسم التحالفات السياسيّة والإقتصاديّة والّتي يقودها الباباوات في إطار الكنيسة.

إذن فالمجتمع الإيطالي كان يشهد تسلّطا من قبل الكنيسة البابويّة الّتي كانت تمنع توحيد إيطاليا حتّى لا تنشأ حكومة قويّة تواجه سلطات البابا وتقضي على أفعالها الشّنيعة[4].

[1] نبيل راغب، مرجع سابق،ص12.
[2] محمد وقيع الله أحمد، مرجع سابق، ص141.
[3] لويس عوض،مرجع سابق،ص74.
[4] محمّد وقيع الله أحمد، مرجع سابق، ص136

الفصل الثّاني: نظرّية الدّولة عند ميكيافلي.

المبحث الأوّل: مبادئ قيام الدّولة عند ميكيافلي.

المطلب الأوّل: الطّبيعة البشريّة.

إنّ المبدأ الأساسي الّذي بنى عليه ميكيافلي سياسته وسلّم به في كتاباته، أنّ طبيعة الإنسان تتميّز بالأنانيّة وحبّ الذّات ونُكران الجميل، وهذه الصّفات وخاصّة الأنانيّة مثل ما هي موجودة

في المُواطن من خلال تأمين حياته وممتلكاته والإستزادة منها، كذلك نجدها في الحاكم المتمثّلة في رغبته بزيادة قوّته وسلطانه[1].

يقول ميكيافلي في ما يخصّ الأنانيّة: « النّاس بصورة عامّة، ناكرون للجميل، متقلّبون، مراؤون، ميّالون إلى تجنّب الخطر، وشديدو الطّمع، وهم إلى جانبك طالما أنّك تفيدهم، فيبذلون لك دمائهم، وحياتهم، وأطفالهم، وكلّ ما يملكون، طالما أنّ الحاجة بعيدة نائية، ولكنّها عندما تدنو، يثورون.» [2]

فالصّراعات الّتي تحدث، ناتجة عن رغبة البشر في التملّك والحصول على القوّة، تدفع الإنسان إلى العدوان ويدخل بذلك في نزاعات للحصول على المزيد، ممّا يؤدّي إلى اِنتشار الفوضى إذ لم يكن هناك قوّة تُفرض من طرف القانون، ولذلك يرى ميكيافلي أنّ سُلطة الحاكم لا بدّ أن تسعى لإنقاذ المجتمع من هذه الفوضى الحاصلة، وأنّ أيّ ضعف في الدّولة قد يؤدّي إلى عدم الإطمئنان و إلى العدوان، فالحاكم النّاجح حسب ميكيافلي عليه معرفة ودراسة الطّبيعة البشريّة لرعيّته من أجل توفير الأمن للملكيّة وللأرواح لأنّهما رغبتا كلّ إنسان[3].

إنّ الطّبيعة البشريّة في اِعتقاد ميكيافلي لا تتغيّر، لأنّ الإنسان هو الإنسان في كلّ مراحل التّاريخ سواء الماضي أو الحاضر، والبشر في كلّ المجتمعات يعيشون على نفس الوتيرة، لا تتغيّر فيهم لا رغباتهم ولا شهواتهم الّتي لا تقف عند حدّ معيّن، وبالتّالي فإنّ دراسة الإنسان وسلوكاته تستدعي الرّجوع إلى طبيعته باعتبارها طبيعة ثابتة في كلّ الأزمنة وفي كلّ المجتمعات، حتّى يتمّ تحديد طبيعة الحكم الّذي يلائم حياة هذا الإنسان[4].

فهذه الصّورة السيّئة الّتي يؤمن بها ميكيافلي في الطّبيعة البشريّة، لا بدّ أن تشكّل برأيه الأسس الّتي يبني عليها الحاكم حكمه وقوّته، إذ يقول: « فالحكم و قوّة الحاكم يجب أن تقوم دائما على افتراض أنّ النّاس سيّئين و أنّ الفوضى وشيكة الوقوع ولا يمنعها إلاّ قوّة الحاكم الواقفة بالمرصاد لكلّ عدوان أو تعرّض لأمن الأفراد »[5] ويدعّم ميكيافلي رأيه عن الطّبيعة البشريّة أيضا بقوله: « إنّ الواجب يدعو عند تأليف الدّول والتّشريع لها إلى اِعتبار الناس جميعا من الأشرار، إلى أنّهم ينفسون دائما عمّا في ضمائرهم من الشرّ عندما تتاح لهم الفرصة للتنفّس عليه »[6] يعني أنّ الحاكم الكيّس الفطن لا بدّ أن يراعي حقيقة الإنسان الشرّيرة، وأن ينطلق منها في تأسيسه لدولته.

[1] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص29.
[2] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تعريب، خيري حمّاد، مصدر سابق، ص 144.
[3] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص30،29.
[4] إسماعيل زرّوخي، دراسات في الفلسفة السّياسيّة، دار الفجر، ط1، القاهرة، 2001م، ص177،176.
[5] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص24.
[6] إسماعيل زرّوخي، مرجع سابق، ص178.

فحسب نظرة ميكيافلي للطبيعة البشريّة توصّل إلى أنّ النّاس حسودون، غيورون، ساخطون، ولا يطمحون إلاّ لما ليس عندهم، كما أنهم خائفون، وجبناء، وأكثر ما يخافون منه هو العقاب، لذلك توجّب على الأمير أن يكون مهابا على أن يكون محبوبا- وهذا ما سنوضّحه لاحقاً- بالإضافة إلى أنّهم غير قادرين على الوصول لأعماق الأشياء، فيتركون أنفسهم يقتنعون بالمظاهر، لذلك على الأمير أن يبدو في صورة حسنة وذا أخلاق عالية، و أهم صفة عند النّاس أنّ كلّ شيء لديهم يكمن في النّجاح مهما كانت الوسائل، حتّى إذا تعلّق الأمر بما يحقّقه الأمير للحفاظ على دولته، فهم يحكمون على ما يرون فقط، لذلك من السّهل التّلاعب بهم. [1]

من خلال ما سبق وحسب رؤية ميكيافلي وتقييمه لطبيعة الإنسان والّتي تعتبر أوّل قاعدة لابدّ أن يلتزم بها الأمير القائد الّذي غايته من غايته الدّولة وهي بناء دولة قويّة وثابتة وآمنة، لأنّ الإنسان هو الّذي يشكلّ المجتمع وهو الّذي تُبنى من أجله السّلطة، لذلك كان لا بدّ لميكيافلي أن يسلّط عليه الضوء ويراعي طبيعته قبل التّأسيس لأيّ دولة. ونحن بدورنا قد اِبتدأنا فصلنا بتوضيح هذه النّقطة الّتي هي في غاية الأهميّة، والّتي تعتبر المرجعيّة الأولى لكلّ ما سنتحدّث عنه لاحقا.

[1] جان جاك شوفلييه، تاريخ الفكر السياسي: من المدينة الدّولة إلى المدينة القوميّة، مؤسّسة مجد، ط1، (د.س)، 1985م، ص139،138.

المطلب الثّاني: مبدأ القوّة.

من بين أهمّ مبادئ قيام الدّولة عند ميكيافلي هو مبدأ القوّة، فقد أكدّ على دور هذا المبدأ في إدارة الحكم، وذلك من خلال تكريسه لثلاث فصول في كتابه الأمير للنّظر في الأمور العسكريّة، قائلا: « إنّ الأسس الرّئيسيّة لكلّ دولة تؤلّفها القوانين الجيّدة والسّلاح الجيّد »[1]

وهنا يشير ميكيافلي إلى أهم ما يمكن للأمير أن يكتسبه وأهم سبيل لتحصيل السلطة والقبض في زمام الحكم، والّتي تعتبر بمثابة الرّكيزة الأساسيّة لقيام دولة وممارسة السّياسة، وهي القوّة، ويقصد هنا ميكيافلي بالقوة السّلاح، فلن تكون القوانين فعّالة إلّا بوجود أسلحة فتّاكة، إضافة إلى أمير حازم يمتلك صفة القوّة، وهنا يمكننا القول أنّ ميكيافلي أدرج الممارسة السّياسيّة بالقيادة العسكريّة، وكأنّ الدّولة تحمل في طيّاتها حكم عسكري. إذن فميكيافلي لم يكن فقط منظّر سياسي، ولا رجل سياسة، بل وقائد عسكري كذلك.

إنّ ميكيافلي ينادي بالإعتماد على مبدأ القوّة من أجل تحقيق الأمن و الإستقرار، وهذا راجع لطبيعة الإنسان، فالطّبيعة البشريّة تتميّز بالأنانيّة وحبّ الذّات، وأنّ الإنسان كما ذكرنا سابقا بطبيعته ميّال للقتال، من أجل المحافظة على نفسه، وبالتّالي فلا مناص من اِستخدام الدّولة للضّغط والعنف بشتّى أنواعه وصوره، حتّى يتمّ السّيطرة على نزعة الإنسان الشرّيرة الّتي لا تعرف ضوابط أمام تحقيق رغباتها[2]. هنا يبرر لنا ميكيافلي سبب جعله من القوّة مبدأ لقيام الدّولة، وهذا السّبب هو طبيعة الإنسان الشّريرة، والّتي لا يكبح من جماحها إلاّ سلطان القوّة.

يؤمن ميكيافلي بأنّ السّيف أصدق وسيلة في خلق دولة قويّة، فهو يدعو إلى قيام وحدة سياسيّة لتجميع شتات وطن إيطاليا الممزّق، ولا يهمّ الطّريقة إذا كانت بواسطة العنف او شنّ الحروب أو بالإقناع، فالمهمّ أن تحقّق الوحدة[3].

بما أنّ السّبب في تكريس مبدأ القوّة هو الطّبيعة البشريّة، فإنّ الغاية في ذلك هو تحقيق الوحدة الإيطاليّة، لأن ميكيافلي كان يتألّم أسى لما آلت إليه إيطاليا من ضعف واِنحطاط وشتات واِنقسام في إماراتها ودولها، إضافة إلى أنها لقمة صائغة في بطون الدّول الخارجيّة.

وعلى اِعتبار أنّ نزعة ميكيافلي واقعيّة، وباِعتماده على الوقائع التّاريخية لتبرير أفكاره في الحكم، فكان بذلك كتابه الأمير مثقّل بتجارب السّابقين من الحكّام والملوك، وحتّى يؤكّد ميكيافلي على نجاعة مبدأ القوّة ضرب لنا مثالين عن النبيّ الأعزل والنبيّ المسلّح، فالنبيّ الأعزل يقصد به الرّاهب الدومينيكاني سافونارولا، الّذي أتى إلى الإمارة واعظا ومبشّرا بتعاليم الدّين، وناهيا جماهير البلاد عن كلّ أشكال اللّهو والفساد، مارس هذا الرّاهب حُكما ديموقراطيّا أجوفاً، ولم

[1] كوينتن سكنر، أسس الفكر السّياسي الحديث، مرجع سابق، ص251.
[2] إسماعيل زرّوخي، مرجع سابق، ص177.
[3] شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزّاق، تاريخ اوروبا من النّهضة حتّى الحرب الباردة، المكتب المصري، القاهرة، 2000م، ص34.

يتمكّن من اِكتساب قدرا كافيا من القوّة السّياسيّة، فتجربة سفونارولا في الحكم قدّمت درسا لميكيافلي اِستخلص منه أنّ سلطة هذا الرّاهب كانت مغالية في المثاليّة، إذ أنّها لا تستند إلى أسباب القوّة الّتي يحتاجها المصلح السّياسي والّتي تساعده في إنجاز مهمّته، فاعتبر ميكيافلي فشل سافونارولا أشبه ما يكون بنبيّ أعزل وقرّر أنّ القوّة المسلّحة ضرورة لازمة حتّى للأنبياء المرسلين[1]. إنّ حكم سفونارولا كما ذكرنا سابقا والّذي دام أربعة سنوات، كانت نهايته الخسارة، وحتّى أنّه أفقده حياته، لأنه اِهتمّ بالجانب الدّيني وأراد أن يشكّل حكومة ثيوقراطيّة، داعيا النّاس للتمسّك بالعقائد الدّينيّة، اِعتقادا منه أن هذه الطّريقة ناجعة لإصلاح الدّولة، وكذلك إصلاح المجتمع. لكن هذا لم يفي بالغرض.

أمّا قيصر بورجيا على خلاف سافونارولا، فهو رمز للنبيّ المسلّح، وهو الممثّل للمدرسة السّياسيّة الواقعيّة، والّتي تجعل من القوّة والمنفعة قاعدتين أساسيّتين لها. ذكر ميكيافلي في كتابه الأمير أهمّ أعمال بورجيا عندما وجد نفسه أميرا على دويلة تسودها الفوضى والنّهب والغزو، نصّب فيها وزيرا وكلّفه بكلّ أعمال القمع والعنف والقتل لكي يرهب المفسدين وغيرهم، ورغم الاستقرار والسّلم لكن في المقابل أثارت كرها للحكومة والحاكم، وما فعله بورجيا بعدها أنّه أمر بتنصيب قاض عادل ومحامين أكفّاء يردّون على الشّكاوي الّتي جاءت من قبل الشّعب، وبلّغ الشّعب أنّه ليس هو –سيزار بورجيا- من قام بتلك المظالم بل هو ابتداع وزيره، فأمر بورجيا بتقطيع جسده إلى نصفين وتعليقهما في ساحة المدينة العامّة، وما فعله بورجيا أدّى إلى خداع الشّعب وكسب رضاه في نفس الوقت، وبالتّالي أصبح بورجيا البطل المخلّص الشّعب من المظالم والقتل[2].

ما فعله سيزار بورجيا يحيلنا إلى أهم صفة يطلب ميكيافلي الأمير التحلّي بها والّتي سنوضّحها جيّدا في ممارسة رجل السّياسية للسّلطة، وهي أن يظهر القائد دائما في مظهر الأمير الجيّد والّذي يحرص على أمن البلاد حتّى يكسب ثقة شعبه، وبالتّالي يمارس عليهم أشد أنواع القوّة والبطش لكن دون علمهم لأنهم تحت تأثير التنويم الميغناطيسي.

إذن فإنّ ميكيافلي كان يدرك تماما أنّ القوّة هي إحدى الحقائق الرّئيسيّة في الحياة، فالقوة تؤدّي إلى السّيطرة، سيطرة الإنسان على نفسه وعلى الطّبيعة وعلى الآخرين، القوّة الباحثة عن المعرفة أي معرفة الوسائل الّتي توصلنا إلى الحكم، وبالتّالي بناء قواعد تحفظ لنا هذا الحكم[3].

فالسّياسة تتحدّد بالقوّة أكثر من كونها تقوم على القانون، وتتحدّد بالحيوانيّة أكثر من الإنسانيّة، لأنّ البشر لو كانوا خيّرين وطنيّين لاكتفوا فقط بالقوانين لتحكمهم، لكنّهم أشرار و أنانيّين ومخادعين لذلك وجب اِستخدام القوّة والخديعة لحكمهم والسّيطرة عليهم، وبالتّالي فإنّ

---

[1] محمّد وقيع الله أحمد، مرجع سابق، ص142،141.
[2] محمّد وقيع الله أحمد، مرجع سابق، ص143.
[3] عبد الرّحمان خليفة، أيديولوجيّة الصّراع السّياسي: دراسة في نظريّة القوّة، دار المعرفة الجامعيّة،(د.ب)، 1999م، ص57.

القوّة نقطة مهمّة لتحقيق الغرض السّياسي، وهو الحفاظ على الدّولة و تحقيق وحدة إيطاليا وقوّتها[1].

المطلب الثّالث: مبدأ الفصل بين السّياسة والأخلاق.

إنّ ما أضافه ميكيافلي ويعتبر بمثابة هديّة للعالم الحديث هو مفهومين جديدين: "السّياسة العلميّة وأخلاق الدّولة" اللّذان يعتبران نقطة تحوّل جديدة و قفزة نحو بناء السّياسة من منظور علمي عملي، وأيضا القاعدة الأساسيّة في تشكيل أفكارنا عن السّياسة والأخلاق، على اِعتبار أنّ السّياسة والأخلاق لم تكونا منفصليتين في المجتمع المسيحي التّقليدي، فقد كان يرفض ميكيافلي الأخلاق المسيحيّة بالنّسبة للحكّام لانّ فيها دمار للدّولة، كما أنّه اِخترع علم السّياسة أي دراسة الحقائق السّياسيّة وتخلّى عن الأخلاق المسيحيّة، ووضع مكانها أخلاق خاصّة بالدّولة[2].

[1] ياسين خليل، المنظق وفلسفة العلوم في التّراث العربي الإسلامي، ج1، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2014م، ص66.
[2] كافيين رايلي،الغرب والعالم، مرجع سابق،ص13،12.

هاذين المفهومين الجديدين الّذي أدرجهما ميكيافلي في حقل السّياسة لم يكونا موجودين قبله، بل على العكس تماما، فقد جاء بأفكار جديدة مخالفة كليّا لما كان سائدا في العصور الوسطى، لذلك يُعتبر ميكيافلي الممهّد للفلسفة الحديثة بإحداثه قطيعة بالتّقاليد المسيحيّة، وأيضا انقلابه على كلّ المعتقدات المسيحية خاصّة فيما يتعلّق بالقيم الأخلاقيّة الّتي كان يُنظر لها على أنّها القاعدة الأساسيّة لبناء السّياسة، وهي المعيار الحقيقي الّذي يقاس به صلاح الفرد والمجتمع، وحتّى قواعد السّياسة مستمدة من الأخلاق المسيحيّة، فمنطلقاتها أخلاقيّة وغايتها أيضا أخلاقيّة. وهذا الإتّصال بين السّياسة والأخلاق كان موجود أيضا في العصر اليوناني وخاصّة عند أفلاطون، الذي أسّس لمدينة فاضلة، تحمل قوانين أخلاقيّة، يكون النّاس فيها طيّبين لا يحملون بذرة شر. فنظرته كانت مثاليّة لا يمكن للعقل البشري محاكاتها أو تطبيقها على أرض الواقع، لأنّ الإنسان يحمل في ثنايا نفسه الشر والخير، وتبقى طبيعته البشريّة هي المحرّكة لسلوكاتها. لذلك نظر ميكيافلي إلى الأخلاق نظرة واقعيّة مجرّة من المثاليّات، محاولة منه إلى إخضاعها للسّياسة، لا إخضاع السّياسة لها، وهذا ما أطلق عليه بأخلاق الدّولة.

وفي سبيل أن يحقّق الأمير مشروع إنشاء دولة قويّة لا بأس بأن يكون قريب من الرّذائل وبعيد عن الفضائل، فهو لا يحتاج إلى الإلتزام بالعهود والوفاء إذا كان يحقّق له دولة قويّة، ومن الضّروري أن يتّسم بخاصيّة التكيّف مع الظّروف والقدرة على التّظاهر، وعليه أن لا يكترث باتّهامه بالقسوة إذا كان في ذلك ما يؤدّي إلى وحدة رعاياه وولائهم. وحسب ميكيافلي كلّ هذه الصّفات والخصائص تجعل الأمير قادرا على بناء دولة وضعيّة قويّة وتحقيق الأمن والوحدة الإيطاليّة[1].

فالجديد الّذي أضافه ميكيافلي هو أن جعل للدّولة أخلاق خاصّة بها سمّاها ميكيافلي بأخلاق الدّولة، وأخلاقيّات السّلطة الّتي تسمح بأي شيء وكلّ شيء من أجل الدّفاع عن الدّولة ومصالحها، وبالتّالي فإن فصل السّياسة عن الأخلاق أدّى إلى تحديد الأخلاق وفق اِحتياجات الدّولة،فحلّت أخلاق الدّولة ودين الدّولة محلّ الأخلاق المسيحيّة التّقليديّة للحكم، وأصبحت بذلك السّياسة بعد اِنفصالها عن الأخلاق المسيحيّة علما[2].

رأى ميكيافلي أنّ فساد السّياسة في عصره راجع إلى تدخّل المعايير الأخلاقيّة، إضافة إلى الضّغط الممارس من قبل الكنيسة، هذه الأخيرة هي المسؤوليّة عن ماجرى لإيطاليا من تقسيمات وما لحقها من آلام وفتن، لذلك اِنصبّ اِهتمام ميكيافلي على الوسائل دون الغايات[3].

ويؤكّد ميكيافلي على أنّ هدف السّياسة هو المحافظة على الدّولة والتمسّك ببقائها وقوّتها، ولا يهمّ الإعتبارات الأخلاقيّة أو الدينيّة أو الوسائل إن كانت جائزة شرعا أم لا بل الاهمّ هو

---

[1] عبد الرّضا حسين الطعّان وآخرون، مرجع سابق، ص31.
[2] كافيين رايلي، مرجع سابق، ص17،15.
[3] إسماعيل زرّوخي، مرجع سابق، ص178.

تحقّق غرضها وتسمو بهدفها، فيقول ميكيافلي في هذا الصّدد في كتابه الأمير: « إنّني أعتقد تماما أنّ كلّ إنسان سوف يوافقني على أنّه خير للأمير أن يستغلّ من الصّفات ما يشاء في سبيل رفعته، غير ناظر إلى قيمة أخلاقيّة أو دينيّة، فهناك من الفضائل ما تؤدّي إلى تدهور واِنهيار حكمه، كما هناك من اللاّفضائل ما تؤدّي إلى إزدهاره ورفعته »[1]

يقول ميكيافلي: « أنّ الوسائل ستتغيّر وهي دائما مشرّفة وسيمتدحها كلّ واحد، لأنّ الشّخص العامّي لا يحكم إلاّ على ما يرى وما يجري، ولا يوجد في هذا العالم إلّا العاميّون، وأنّ الأقليّة لا تحسب »[2]

لقد فصل ميكيافلي بين السّياسة والأخلاق فصلا تامّا، بعد أن عاد للتّاريخ وتصفّح الماضي، وأجرى مقارنة بين الاخلاق القديمة والأخلاق المسيحيّة، وتوصّل إلى أنّ القدماء كانت أخلاقهم تمجّد القوّة وتثني على الأبطال، وكانوا يملكون الرّوح الوطنيّة، بينما الأخلاق المسيحيّة تحثّ الإنسان على الإبتعاد عن الدّنيا وشهواتها والتمسّك بالآخرة وتمجّد التّواضع وتنقص من قيمة الحياة الدّنيا وجعلت كلّ آمال الإنسان معلّقة بالآخرة، وبهذا أدّى إلى إضعاف قوّة الإنسان وعزيمته، فليس لديهم أدنى شعور بالوطنيّة، إذن فالتّعاليم المسيحيّة جعلت الإنسان ذليلا خاضعا فاقدا للعزيمة وبالتّالي فريسة سهلة في أيدي الأشرار[3].

والأخلاق القديمة الّتي ذكرها ميكيافلي هي أخلاق روما القديمة، لذلك يبيّن ميكيافلي في كتابه المطارحات إعجابه الشّديد بالجمهورية الرّومانيّة، معدّدا بذلك تمجيد الدّولة وذكر عظمة حكّامها، وأن للدّولة ميل طبيعي إلى الضّخامة ولا مكان فيها للأخلاق وللقانون الدّولي حيث كلّ شيء يصحّ أخذه، لكن لا بدّ من أخذ الحذر وإجادة حساب المشاريع، وحسن توزيع القوّة والحياة، ولا بدّ من إعطاء الأهميّة العسكريّة في أيّ دولة[4].

فنجاح السّياسي مرهون بقدرته على القضاء على الفساد الأخلاقي والدّيني الّذي كان منتشرا في إيطاليا، والّذي جعل الأخلاق تسمو عن السّياسة، ورأى أنّه لا بدّ من اِقلاب المعادلة بأنْ تكون السّياسة في مرتبة أعلى من الأخلاق أي خضوع الأخلاق للسّياسة وأن تكون في خدمتها تحت مبدأ الغاية تبرّر الوسيلة[5]. وهذه الغاية هي مصلحة وأمن الشّعب، فحسب ميكيافلي الوطن هو مركز تدور حوله الأخلاق الميكيافليّة أي أنّ الأخلاق الّتي يحدّدها ميكيافلي تكون موجّهة لخدمة الوطن، فالإنسان الّذي يعمل لغاية لا صلة لها بالوطن هو شخص لا أخلاق له[6].

---

[1] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص23.
[2] إسماعيل زرّوخي، مرجع سابق، ص176.
[3] المرجع نفسه، 179.
[4] جان توشار، مرجع سابق، ص205.
[5] إسماعيل زرّوخي، مرجع سابق، ص 180.
[6] إمام عبد الفتّاح إمام، الأخلاق والسّياسة:دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، 2002م، ص258.

فالأثر الّذي الّذي تركه ميكيافلي كما أسلفنا ذكره، هو الفصل بين الأخلاق والسّياسة كما أنّه أعطى السّياسة الأولويّة، ومن خلال هذا الفصل يودّ ميكيافلي القول أنّ الدّولة ليست وسيلة لبلوغ غاية معيّنة كما كان يُنظر لها سابقا، بل هي غايّة في حدّ ذاتها، وقيمة مطلقة، وبما أن هذه الغاية تبيح كلّ الوسائل وإن ألزمه ذلك القتل والكذب، وجب على الأمير أن يكون فطنا و ذكيّا في اِستخدامه لهذه الوسائل، وأن يفعل ذلك بسريّة حتّى يتجنّب ردود أفعال المجتمع وأن لا يفقد حبّهم و يكسب ولائهم[1]. وبالتّالي فإنّ الدّولة عند ميكيافلي لا تعرف الأخلاق ولا تهتمّ بالأخلاق، ففي دائرة السّياسة وشؤون الحكم تعترف بمبدأ واحد، ألا وهو الفعل والمعيار هو النّتائج الّتي يحقّقها الفعل، فإذا كانت النّتائج مفيدة كان الفعل صائبا إذا كانت النّتائج ليست مفيدة كان الفعل خاطئا.

أخيرا صحيح أنّ ميكيافلي لم يبرّر السّلطة اعتمادا على قواعد كنسيّة ودينيّة، وصحيح أنه فصل الأخلاق عن السّياسة، بل وجعلها خادمة لها، وألغى كل الإعتبارات الأخلاقية والدّينيّة في الممارسات السّياسيّة وفي بناء الدّولة، إلّا أنّه لا يمكننا القول أن الميكيافلية مذهب منفصل كليّا عن الأخلاق، فقد قدّر ميكيافلي أهميّة المحافظة على الاِلتزام بالصّالح العام للمجتمع، لأنّه ستكون النّتيجة الإنهيار إن لم يكن هناك عادات الفضيلة المدنيّة بين النّاس[2].

المطلب الرّابع: التّوظيف البراغماتي للدّين عند ميكيافلي.

إنّ الأوضاع الاجتماعيّة والسّياسيّة المترديّة الّتي كانت سائدة في إيطاليا عامّة وفلورنسا خاصّة، دفعت ميكيافلي بالبحث عن المسؤول عن هذا الإنحطاط الأخلاقي، والضّعف السّياسي، فوجد أنّ البابا والكنيسة هما السّببان في تعاسة المجتمع الإيطالي، فقد تغيّرت غاية البابا، فبدل من أن يبقى حكما بين المسيحيّين في أوروبا، جعل مسعاه تأمين السّلطة وزيادة النّفوذ كأيّ حاكم زماني آخر، وهذا ما أفشل تحقيق الحلم الّذي كان يحلم به ميكيافلي هو تحقيق الوحدة القوميّة[3].

فميكيافلي لم يكن رجل دين بل كان رجل دولة هدفه توحيد إيطاليا الممزّقة بالقوّة، ورأى أنّ هذه الوحدة لا يمكنها أن تتحقّق إلاّ بعد القضاء على الفساد الدّيني الّذي انتشر في أرجاء إيطاليا آنذاك[4]. يعني أنّ ميكيافلي كان يحمِّل المسيحيّة مسؤوليّة واعتبرها مثل الدّاء الّذي ينتشر بالجسد لينقل الوباء إلى كامل الأعضاء، فمن تشويههم للأخلاق، وغرس أخلاق الضّعف في المجتمع، إلى تشويه الدّين المسيحي بأفكارهم الخاطئة وبسلوكاتهم الغير عاكسة للدّين إضافة إلى خلق الفوضى السّياسيّة في الأوساط الإيطاليّة، لذلك لا بدّ من إيجاد دواء لهذا الداء وهو المسيحيّة حتى تتمتّع إيطاليا بالإستقرار السّياسي والهناء الإجتماعي.

1 موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص25،24.
2 ستيفن ديلو، مرجع سابق، ص209.
3 مهدي محفوظ، مرجع سابق ، ص26.
4 موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص27.

وسبب اِنتقاده للدّين المسيحي، إذْ كان يعتقد أنّ المسيحيّة ترجع الفضيلة إلى الخنوع والمسكنة، وأنّها تقدّس الخائفين والفقراء بدل من الأبطال، بينما باقي الأديان تكمنُ الفضيلة عندها في عظمة الرّوح وقوّة الجسد وهذا ما جعلها دولة قويّة[1].

يقول ميكيافلي:« إنّ الأديان القديمة كانت تركّز على الفضائل الطّوعيّة الوحشيّة الّتي تصنع الشّعوب القويّة وخصوصا الحرّة، كما كانت توحي بحبّ العمل والمجد الدّنيوي، وتقدّس قادة الجيوش ورؤساء الجمهوريّات ... أمّا المسيحيّة(ديننا) تجعلنا نكنّ قدرا قليلا من التّقدير بمجد هذا العالم، فهي تمجّد أكثر النّاس الوضعيّين ... إنّ ديننا هذا يضع السّعادة القصوى في التّواضع والدّناءة واحتقار الأمور البشريّة، وتجعل الشّعوب ضعيفة، ويصنع منها فريسة سهلة للأشرار المتربّصين»[2]

من خلال إقتباسات ميكيافلي يتبيّن أنّه ليس ملحدا و أنّه يؤمن برسالة الدّين، لأنه كان يركّز في حديثه عن المسيحيّة، فقد كان يوجّه سهامه نحو المسيحيّة، الّتي حاول بعض الشّرفاء أمثال سافونارولا الدّفاع عنها، ورأى أنّ المسيحيّة حتى في أحسن أحوالها تعلّم النّاس الفضائل الخاطئة كالذلّ والخضوع باسم التّواضع.[3] يقول ميكيافلي:« يرى الكثيرون أنّ اِزدهار المدن الإيطاليّة راجع إلى كنيسة روما، ولكن أختلف معهم في هذا الأمر »[4] ويقدّم لنا مكيافيلي سببين لعدم تقبّله لهذا الرّأي، الأول:أنّ إيطاليا خسرت بسبب المُثل السيّئة وأنّ لكنيسة هي من زرعت الإعوجاج في الدّين، والثّاني أنّ الكنيسة هي الّتي تسبّبت في إنقسام إيطاليا وتجزئتها[5].

رغم توجّه ميكيافلي نحول العلمانيّة إلاّ أنّه لم يُخلط بين موقفه من الدّين وموقفه من الكنيسة، بل بالعكس كان يعتبر أنّ للدّين مكانة بارزة بالنّسبة للدّولة كونه دعامة للنّظام الاجتماعي، وفي هذا الجانب هجوم ميكيافلي لم يكن على الدّين بل كان على الكنيسة الّتي تعتبر السبب الرّئيسي في تدهور الرّوح الدينيّة، كما أفسدت الدّيانة المسيحيّة أفقدت الإنسان إيمانه بها والثّقة فيها، لذلك رأى أنّ الكنيسة تشكّل عائقا أمام بلوغ هدف الدّولة الوضعيّة القوميّة بصورة عامّة ودولة إيطاليا موحّدة بصورة خاصّة، فالدّين يضمن وحدة العنصر الإنساني في هذه الدّولة[6].

بعد أن كان العالم يعتبر أنّ الدّين غاية لحياة عظمى تحوّل إلى عالم اِضمحلّ فيه أمر الدّين أو سُخّر لإعلاء شأن الدّولة، فالدّين بذلك حسب ميكيافلي أداة لا بدّ منها لتوطيد أركان الدّولة،بعد شعوره بأن الدّولة في الإمارات العلمانيّة بإمكانها أن تصبح مصدرا للدّين والأخلاق،

[1] مهدي محفوظ، مرجع سابق،ص 26.
[2] إمام عبد الفتّاح إمام، الاخلاق والسّياسة، مرجع سابق، ص250.
[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
[4] نيقولا ميكيافلي، المطارحات، مصدر سابق، ص265.
[5] إمام عبد الفتّاح إمام، مرجع سابق، ص258،257.
[6] عبد الرّضى حسين الطعّان وآخرون، مرجع سابق، ص32.

مثل ما كان موجود في القديم قبل ظهور المسيحيّة، فقد أستطاعت آلهة الدّولة من تسخير طاقة النّاس لصالح المؤسّسات السّياسيّة، فالأخلاق الّتي يأتي بها الدّين المسيحي بإمكان الدّولة أن تحوّلها إلى مذهب أخلاقي يمجّد القوّة والسّلطة، لكن على أن يكون ذلك دينا لدولة الدّين، أي أنّه دينا يخلق جنودا أبطالا لا شهداء يسعون للخلد الآخر، فدفاع ميكيافلي عن دين الدّولة كان ثوريّا متطرّفا في عصره[1].

فالدّين بحسب رأيه بإمكانه أن يزيد من أمر الطّاعة في الجيش ووحدة الشّعب، والتّقليل من الشّرور، وكلّما كبر الخوف من الله كبرت وقويت الدّولة، وانعدام هذا الخوف يؤدّي إلى ضعف الدّولة وهوانها، وبالتّالي فلا وجود لكيان دولة بدون الدّين، فهو ضروري وشرط لوجود الدّولة والحفاظ عليها وبقائها[2].

إذن فميكيافلي يهتمّ بالدّين من زاوية الدّولة وصيانتها، فهو يعتبر خادما للسّياسة وأداة تأديبيّة لا يمكن الإستغناء عنها، فعندما تكون العبادات الإلهيّة محتقرة، يلحق بالدّولة الهلاك والفساد، لذلك وجب على الحكّام أن يحافظوا على الدّين القومي، ولا يهمّ هنا ما إن كان الحاكم يؤمن بهذا الدّين أم لا بل الأهم يعرف الحاكم كيف يستفيد من الكهّان والمعجزات لصالح الدّولة[3]. فيقول ميكيافلي: « لا دليل أصدق على اِنحطاط أيّ بلد من البلاد من رؤية العبادة السّماويّة فيها موضع اِهمال وعدم اِكتراث...»[4] ويقول أيضا حتّى يبيّن أنّ الدّين مجرّد آلة للحكم وعنصر تماسك المجتمع: « لا تحاربوا مطلقا الدّين، ولا أيّ شيء يتعلّق بالله، لأنّ مثل هذه الأشياء لها تأثير على عقول الحمقى »[5]

---

[1] كافيين رايلي، الغرب والعالم، مرجع سابق، ص15.
[2] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص27،26.
[3] جان جاك شوفلييه، مرجع سابق،ص242،241.
[4] إمام عبد الفتّاح إمام، مرجع سابق، ص257.
[5] جان توشار، مرجع سابق، ص204.

المبحث الثّاني: تصوّره للدّولة وأركانها.

المطلب الأوّل: مفهوم الدّولة عند ميكيافلي.

ما هي الدّولة؟ ولماذا الدّولة؟ هذه الأسئلة اعتبرها ميكيافلي أسئلة مدرسيّة لم تُثر اهتمامه، فالدّولة حسبه موجودة ولكن من الضّروري المحافظة عليها وتقويتها وإِصلاحها، وتحمل الدّولة غاية وحيدة وهي اِزدهارها وتقويتها[1].

فلم يعتبر ميكيافلي أنّ الدّولة وسيلة للوصول إلى الحياة الطيّبة، « وإنّما هي قوّة فعاّلة بل وحدة ديناميكيّة مفتونة»[2]. ويقول أحد طلّاب ميكيافلي المعاصرين ليوناردو أوليشكي: « تؤلّف الدّولة في عقل ميكيافلي حقيقة نظريّة مجرّدة، بل مبدأ ثابت يتمثّل حقيقة العلمي في الإمارات والجمهوريّات »، كما أنّه لا يوجد أيّ غرض فطري في الدّولة، فأيّ طريق تسير عليه، إنّما هو قد فُرض عليها من طرف الحاكم[3]. فالدّولة بذلك في نظر ميكيافلي هي « حقيقة عيانيّة، حيّة ومتميّزة، وخاضعة لتحوّلات مضبوطة.»[4]

إنّ ميكيافلي عندما بنى سياسيته لم يتساءل عن أفضل الحكومات أو عن مفهوم السّلطة، بل تساءل عن الطّريقة المُثلى ليسود النّظام، وإقامة دولة مستقرّة، أسئلته كانت نابعة من الوضع

[1] جان جاك شوفلييه، مرجع سابق، ص239.
[2] نيقولا ميكيافلي،الأمير،(تراث الفكر السّياسي قبل الامير وبعده)، مصدر سابق، ص28.
[3] المصدر نفسه، ص28.
[4] محمود حيدر، الدّولة:فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى مابعد الحداثة، المركز الإسلامي،ط1، (د.ب)، 2012م، ص79.

السّائد في إيطاليا، وأيضا على إعتباره أنّ الدّولة معطى وهي كائن، فقط لا بدّ من البحث عن ما يحفظها ويزيد من قوّتها[1].

وبالتّالي فإنّ ميكيافلي يقرّ بأنّ الدّولة كائن حي، يمثّل الحاكم رأسه ويمثّل النّاس جسمه، ويرى أنّ الدّولة السّليمة هي الدّولة المتّحدة والمنتظمة والمتوازنة لذلك نجد أنّ شعبها يعيش السّعادة والأمن والقوّة، أمّا الغير السّليمة الّتي تعيش الإضطراب وعدم التّوازن إذْ تحتاج إلى مجموعة من الإجراءات لإعادتها إلى طبيعتها[2].

يقول الكاتب الفرنسي المعاصرE . Namer(1888-1979م)، متحدّثا عن ميكيافلي: «إنّه مؤسّس العلم السّياسي، وذلك لأنّه ولأوّل مرّة نجد عند ميكيافلي تحديدا لموضوع "السّياسي" إنّه الدّولة، وهذه الأخيرة في نظر حقيقة عيانيّة حيّة ومتميّزة، وخاضعة لتحوّلات مضبوطة(...) ومن جهة أخرى فهو يرفض كلّ نظريّات ناشئة عن خيال بعيد أو تأمّل مجرّد، أي كلّ دولة لا تعتمد على تجربة مشاهدة »[3]

وبحكم عمل ميكيافلي الدبلوماسي زار الكثير من الدّول الاوروبيّة الّتي تتمتّع بالقوّة مثل: الدّولة الفرنسيّة والإسبانيّة والهولنديّة، فأخذ يبحث عن عوامل قوّة هاته الدّول ليبني على أساسها مشروعه الخاص ببناء الدّولة القويّة في إيطاليا، ولقد كانت مرجعيّته في ذلك واقع إيطاليا الّتي تعاني من كلّ عوامل الضّعف، وواقع الدّول الأوروبيّة الّتي تتمتّع بكلّ عوامل القوّة، ولذلك كان مشروع قيام الدّولة عند ميكيافلي يقوم على شرطين أساسيّين لا تقوم الدّولة بدونهما وهما: الأمير والجيش[4].

المطلب الثّاني: تقسيم الحكومات وكيفيّة الوصول للسّلطة عند ميكيافلي.

بعد أن فقد ميكيافلي وظيفته وبقي بدون عمل في المنفى،أخذ يفكّر في طريقة تمكّنه من الإقتراب من الأسرة الحاكمة، فجمع كل تجاربه في كتيّب صغير سمّاه الأمير، فقدّم من خلاله

[1] جان توشار، مرجع سابق، ص204،202.
[2] ميكيافلي، فن الحرب، مصدر سابق، ص14.
[3] ياسين خليل، مرجع سابق، ص64.
[4] عبد الرّضى حسين الطعّان، مرجع سابق، ص30.

ثمرة جهده ونتيجة عمله وملاحظاته العمليّة، من خلال تردّده لبلاط الملوك في بعثات دبلوماسيّة عديدة، وذكر في هذا الكتاب ماهية و أنواع الإمارات، وكيف بإمكان الحاكم إكتسابها والسّبل للمحافظة عليها ... لغايتين أوّلها: التودّد لأسرة آل مديتشي حتّى يسترجع وظيفته، وثانيها: رغبته في توحيد إيطاليا، وتحسين حالها للأفضل[1].

يتحدّث ميكيافلي في كتابه الأمير عن أنواع السّلطة فيقول:« كانت الحكومات الّتي حكمت الأمم في الأزمان الغابرة إحدى إثنتين: إمّا جمهوريّات عادلة، وإمّا ملكيّات معتدلة، وللملكيّة نوعان: نوع تحكمه أسرة واحدة عريقة في القدم، يرث أفرادها الملك الواحد بعد الآخر، ونوع حديث التأسيس وملوكه حديثو العهد بالسّلطان »[2]

لم يركّز ميكيافلي في كتابه الأمير عن الجمهوريّات، بل تحدّث عنها في كتابه المطارحات لأسباب سنتطرّق إليها لاحقا. والآن سنسلّط الضّوء عن الحكم الملكي كما قسّمه ميكيافلي إلى قسمين: الممالك الموروثة، و الممالك الحديثة.

أوّلا: الممالك الموروثة.

يقول ميكيافلي:« صعوبة الوصول إلى أرض الملك في مملكة وراثيّة إعتاد أهلها على الأسرة الحاكمة أقلّ بكثير من صعوبة الوصول إلى العرش في الممالك الجديدة »[3] أي الأمير الّذي سيسطر على مملكة وراثيّة سيجد سهولة في الوصول إليها ولن يكلّفه ذلك جهدا كبيرا.

ويضيف بقوله:« تكون مهمّة الإحتفاظ بالملكيّات الوراثيّة أقل صعوبة، حيث تعوّد النّاس على أسرة حاكمة... أن لا يضطرّ المرء إلاّ الإعتداء على المألوفات الوراثيّة، وأن يكيّف نفسه لظروف لم يكن متوقّعها، ويستطيع الأمير بهذه الطّريقة أن يحتفظ بمركزه، إلاّ إذا طرأت قوّى إستثنائيّة، وبالغة الشدّة فطردته منه، ولكنه حتّى لو طرد، ففي مكنته عندما يصيب الأمير الجديد...»[4] نستنتج من خلال ما قاله ميكيافلي أنّ التمكّن من هاته الممالك لا يحتاج لأيّ حيلة من حيل السّياسة فقط على الحاكم أن يتّبع خطى من سبقه، أي الحكم الّذي ورثه من أجداده ويكون على أهبة الإستعداد لما من الممكن أن يحدث في الزمن. وأهمّ شيء فالأمير الحازم إذا أراد ان يبقى محبوبا لدى أمّته يحتاج للمحافظة على القديم والإبتعاد عن التّبديل حتّى لا ينفر وينقلب عليه الشّعب.

ثانيا: الممالك الجديدة.

[1] جان جاك شوفالييه، مرجع سابق،ص235.
[2] نيقولا ماكيافيلي، الأمير، تر: محمود لطفي جمعة، بيت الحكمة، ط1، (د.ب)، 2016م، ص37.
[3] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر: أكرم مومن، مصدرسابق، ص22.
[4] نيقولا ميكيافلي،الأمير(تراث الفكر السّياسي قبل الأمير وبعده)،تر:خيري حمّاد، مصدر سابق، ص56.

فهي على عكس الإمارات الوراثيّة الّتي يسهل الوصول لها، فالإمارات المختلطة او حديثة التّأسيس هناك صعوبة للتحكّم فيها. وتنقسم هذه الإمارات حسب ميكيافلي وحسب ما ورد في كتاب الأمير إلى: إمارة مختلطة و إمارة جديدة كليّا.

1- الإمارات المختلطة:

يقول ميكيافلي:« إنّ أمثال هذه الولايات إذا شعرت بظلم حكّامها ودّت اِنصرافهم عنها، ولو أدّى ذلك إلى تحكّم غيرهم فيها فإذا تولّى عليهم ملك غير ملكها رحّبت به أملا بأنّ الخلف يصلح ما أفسده السّلف...تدفع تلك الأمنية بعض الولايات إلى سلّ السّيوف في وجه ملكها القديم، فيثور أهلها ثورة حاسمة يتمكّن بها الطّامعون في الإستلاء على الولاية الثّائرة»[1]

وفي هذا النّوع من الإمارات يسيطر الملك عليها بمساعدة جنود أو آخرين، وكلّ من أصيب في هذه المعركة الّتي غايتها السّيطرة على جزء جديد من المملكة عدوّ لك، وفي المقابل لن تستمرّ صداقتك مع من ساعدوك ولا يمكنك تحقيق أمنياتهم ولا تطبيق القوانين عليهم لأنّك ستكون معترف لهم بجميل مساعدتهم لك، ولذلك على الأمير أن يكسب حبّ النّاس حتّى يتمكّن من السّيطرة على بلادهم[2]. وبالتّالي فالأمير الّذي يفكّر في الإستلاء على هذا النّوع من الممالك، لا بدّ أن يكون شديد الحذر، لانّ الشّعب هو الّذي مهّد له الطّريق لها من خلال ثورته على الحاكم السّابق، و الامير الجديد هو أمل يتطلّع له الشّعب، فإن يرو فيه عيبا أو تصرّفا غير سليم، فسيثورون عليه كسابقيه، لذلك على الأمير الجديد أن يأسر قلوبهم أولا ليتمكّن من السّيطرة على بلادهم، حتّى يطمئنهم بأنّه الأمير الأفضل، وأنه سيغيّر أحوالهم للأحسن. وأيّ خطأ أو عمل مشين سيكلّفه الكثير، ممّا يستدعي الأسرة الحاكمة العودة واِسترجاع سلطتها.

في هذا النّوع من الممالك يقدّم ميكيافلي حلولا للأمير تمكّنه المحافظة عليها. فيرى أنّه من السّهل المحافظة عليها إذا كانت تتكلّم نفس اللّغة ولها نفس الجنسيّة، ولكن عليه أن[3]:

- يمحو الأسرة الحاكمة من الوجود لأنّ أيّ اِضطراب في الإقليم سيستغلّه الحكّام القدامى للعودة للحكم.

- أن لا يغيّر من عيش أهل الإقليم كي يظلّوا تحت اِمرته(العادات والأخلاق)

أمّا إذا كان أهل الإقليم يتكلّمون لغة جديدة ولهم ثقافة مغايرة وأحسن طريقة للإستلاء عليها حسب ميكيافلي هو أن[4]:

---

[1] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر: محمود لطفي جمعة، مصدرسابق، ص40.
[2] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر:أكرم مؤمن ، مصدر سابق، ص23.
[3] المصدر نفسه، ص24.
[4] المصدر نفسه، ص24.

- يقيم في الإقليم لكي يتقرّب من الشّعب ويسعدهم بالقرب منهم، وأن يتطلّع على الإضرابات إذا حدثت لكي يتدخّل في الوقت المناسب لها.

- أن يزرع مستعمرات ومعسكرات في الأراضي القريبة من الإقليم وهذا يقتضي نزع أملاك نفر قليل من أهل الإقليم الأكثرضعفا وباقي سكّان الإقليم يخلدون للسّكينة والرّضى بدافع الخوف حتّى لا تسلب أموالهم منهم مثل غيرهم.

2- الممالك الجديدة كليّة:

يسلّط ميكيافلي الضّوء على هذه الممالك الّتي كانت قبل الإستلاء عليها حرّة تملك قوانينها الخاصّة، على عكس الممالك سابقة الذّكر- المختلطة- فأهلها كانوا يعيشون البطش وتمارس عليهم كل أنواع القوّة. فميكيافلي يقرّ بأنه يوجد ثلاث طرق للسّيطرة على هذه الممالك الجديدة بالكامل[1]:

- أن يعيش الأمير في البلاد المفتوحة.

-« أن يمنح البلاد حرّياتها الأساسيّة وإستقلالها الدّاخلي شريطة أن يفرض عليها جزية كلّ عام، هذا يكون بعد أن يترك في البلاد فئة تحافظ على سلطته في غيابه ليكون عمل تلك الفئة أن تشرح لأهل البلاد المفتوحة حاجتهم إلى حماية الفاتح وتقنعهم أنّ ذلك يحدث بإخلاصهم له»

ثالثا: الإمارات الكنسيّة أو الدّينيّة.

يرى ميكيافلي أنّ هناك صعوبة في الحصول على هذا النّوع من الممالك بسبب العادات الدّينيّة وتمسّك الشّعب في عقائدهم الدّينيّة،لأنّهم يعتبرونها بمثابة قانون مطلق لا يمكن المساس به، فالحصول عليها يكون إمّا بالإقتدار أو بالحظّ، أمّا المحافظة عليها سهل لأنّ هاته الإمارات هي وحدها الهانئة الآمنة تحكمها قوّة فوقيّة إلهية بوسائل عليا لا يمكن للعقل إدراكها باختصار الله هو الّذي يحفظها فلا تحتاج إلى دفاع عنها.[2]

يوضّح ميكيافلي فكرة مهمّة أيضا في كتا الامير فيما يتعلّق بحكم الممالك، فيقول ان حكم الممالك يسلك أحد الطّريقان:[3]

1- أن يحكم الامير ومعه أعوانه وموضّفينه الّذين عيّنهم هو كإداريّين ويستطيع عزلهم في أيّ وقت.

2- أن يحكم الأمير ومعه مجموعة من النّبلاء المرموقين الّذي لديهم وضع ومكانة في البلاد ولا سلطة له عليهم ولا يستطيع الأمير أن يعزلهم عن السّلطة.

---

[1] نيقولا مكيافلي، الامير، تر: محمود لطفي جمعة، مصدر السّابق، ص53.

[2] المصدر نفسه، ص76.

[3] نيقولا ميكيافلي،الأمير-تر:محمود لطفي جمعة، مصدرسابق، ص 70، 71، 72.

نستنتج من خلال ما سبق، واِستنادا إلى آراء ميكيافلي طبعا،أنّ الأمير الّذي لا شريك له في إمارته سوى خدمه يكون أعظم شأنا، والبلاد الأصعب في الإحتلال الّذي يحكم بالطّريقة الأولى، لكن إذا تحصّلت عليها يكون من السّهل المحافظة عليها، وعلى العكس فإنّه من الممكن اِحتلال بلاد عن طريق أحد النّبلاء ولكن من الصّعب المحافظة عليه. فيكون إذن الوصول إلى السّلطة عن طريق الشّعب أحسن من الوصول إليها عن طريق النّبلاء، لأنّك قد يصعب عليك إرضاء النّبلاء بكلّ آرائهم في الحكم، لكن بسهولة سيتمّ إرضاء الشّعب الّذي كل أمنياته الحماية من الظّلم والمعيشة الجيّدة الآمنة. يقول ميكيافلي في الفصل التّاسع من كتاب الأمير:« أمّا الّذي يرتفع إلى الإمارة برضى الشّعب يجد نفسه فريدا في مكانته ويلقى الكلّ سوى نفر راغبا في طاعته، وعدا عن ذلك فإنّه يستحيل إرضاء الأشراف إقامة العدل... لأنّ غرض الشّعب أشرف من غرض الأشراف الّذين غايتهم الإستبداد بالحكم»[1].

الآن سنتطرّق أوّلا إلى طرق الوصول إلى الحكم مع الإستشهاد بالأمثلة التّاريخيّة حسب ما وضّحه في كتابه الأمير.

يعتقد ميكيافلي أنّ هناك أربعة طرق للوصول إلى الحكم، وهي[2]:

1-أن يصل الحاكم إلى السّلطة عن طريق الحظّ أو مساعدة الأخرين.
2- أن يصل الحاكم إلى السّلطة عن طريق القوّة بواسطة قدرته.
3- أو أن يصل الحاكم إلى السّلطة عن طريق الإجرام.

أ:بين من يصل إلى السّلطة عن طريقه جهده و بين من يصل لها عن طريق الحظ ومساعدة الآخرين : يرى ميكيافلي أنّ من يصبح أمير دون جهد، هذا الشّخص لا يجب متاعب في بلوغ السّلطة، لكن متاعبه تبدأ حين يبلغها، فيوجد من الأمراء من يشتري السّيادة بماله أو بالرّشوة، كم اشترى الجنود ليضعهم على رأس الدّولة، ومن كان مصدر سيادته من غيره عاش حياة قلق، ولا يعرف كيف يحكم، لأنّه لا يملك كفاءة ذاتيّة وقوّة شخصيّة تجعله يسيطر على زمام الحكم، لذلك ماجاء بسرعة يذهب بسرعة إلّا من كانت القوّة والموهبة سندا له عندئذ يستطيع أن يرسي جذوره في الحكم[3].

وفي هذا يضرب لنا ميكيافلي مثالين، يقول في كتابه الأمير:« سأسرد هنا مثالين... في الوصول إلى مرتبة الإمارة أعني بها الكفاءة... فقد تمكّن فرانسيسكو بالطّرق السّلميّة بواسطة كفاءته العظيمة من الإرتقاء إلى مرتبة دوق ميلان، وتمكّن دون صعوبة أو مشقّة من الإحتفاظ بما حصل عليه بعد تذليل ألوف المتاعب »[4] ويقول في نفس السّياق: «أمّا قيصر بورجيا من

[1] المصدر نفسه، ص70.
[2] إمام عبد الفتّاح إمام، الأخلاق والسّياسة، مرجع سابق، ص255.
[3] لويس عوض، مرجع سابق، ص82.
[4] نيقولا ميكيافلي،الامير،(تراث الفكر السّياسي قبل الأمير وبعده)، مصدرسابق، ص86.

النّاحية الأخرى... تمكّن من الحصول على دولة عن طريق نفوذ والده، ولكنّه سرعان ما أضاعها، عندما اِنتهى ذلك النّفوذ، على الرّغم من اِتّخاذه جميع التّدابير»[1]

إنّ فرانسيسكو سفورزا (1401م-1466م) وصل إلى السّيادة بجهده وباِتّباعه للأساليب اللّازمة إلى أن أصبح دوق ميلانو، وبالتّالي ما تحصّل عليه بمشقّة وبتعب حافظ عليه بجهد يسير. أمّا سيزار بورجيا (1475م-1507م) فقد اِرتفع للسّلطة بمساعدة أبيه (البابا ألكسندر السّادس)، إلى أن أصبح دوق (روماجيا) لكن ضاعت منه دوقيّته بسهوله لأنّه تحصّل عليها من غيره رغم أنّه بذل جهدا كبيرا لتأسيس إمارة له، لكن هكذا ستكون النّتيجة، من اِعتمد على جيوش ونفوذ الغير[2].

ب:بين من يصل إلى السّلطة عن طريق القوّة الذاتيّة والنّدالة وبين من يصل لها بقوّة الغدر والخديعة:أوّل مثال يضربه لنا ميكيافلي هو الطّاغية "أغاثوكليس الصقليّة" ما قام بع هذا الطّاغية هو أنّه ذات صباح جمع شعب سيراقوس، ومجلس الشّيوخ، على أساس أنّه سيقوم بعمل من أعمال الجمهوريّة الهامّة، فإذ بإشارة من يده قام جنوده بالقضاء على أعضاء المجلس وكبار الأغنياء، وقبض على زمام الحكم دون أيّة محاولة مدنيّة[3].

يرى ميكيافلي أن أغاثوكليس كان رجل اِستراتيجيّة لامع يتخطّى الصّعاب بشجاعة،لكن لا يمكن أن نعدّه رجل فاضل لأنّه ليس من الفضيلة أن يقتل الرّجل بني مدينته، وأن يخون أصدقائه، وأن يتجرّد من الرّحمة والدّين، إذ أنّ الإنسان قد يحصل بهذه الطّرق على السّلطة، ولكن ليس على المجد[4].

وقدّم لنا ميكيافلي مثالا آخر من عصره على الّذي يغتصب الإمارة بقوّته وغدره وقسوته وهو "ليفروتو" عايش زمن البابا ألكسندر السّادس و سيزار بورجيا، ليفروتو أصبح أمير "فيرمو" بالوحشيّة والخديعة، فدبّر مكيدة ليقوم باِنقلاب في فيرمو فنجحت مآمرته واستولى على الحكم، لكن لقي مصرعه قبل أن ينقضي عام من تولّيه السّلطة[5].

طرح ميكيافلي سؤال هو أنّ "أجاثوكليس" و "ليفروتو" كلاهما رمز للأمير القويّ الشرّير، لكن احدهما يبقى في الحكم مدّة طويلة آمنا على حياته، ولا يتآمر عليه أحد رغم كثرة جرائمه، والآخر لا يدوم له ملك رغم السّلم فما السّبب؟[6]

[1] المصدر نفسه،ص87.
[2] لويس عوض، مرجع سابق، ص 83.
[3] كافيين رايلي، الغرب والعالم، مرجع سابق، ص11.
[4] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
[5] لويس عوض، مرجع سابق، ص 87،88.
[6] المرجع نفسه، ص88.

فميكيافلي يعتقد أنّ السّبب وراء هذا الأمر هو حسن اِستغلالهم للفضائح الّتي يرتكبونها، وأنّ اعمال الفضائح الجيّدة حتّى لو كان الحاكم شرّيرا هي تلك الأعمال التي ترتكب مرّة واحدة كبداية مخيفة من أجل أن يوفّر الحاكم الامن لنفسه ويرهب شعبه، وبعدها يقوم بإجراءات تعود بالنّفع على الرّعايا[1]. يقول ميكيافلي في هذا الصّدد:«إنّ الإساءات ينبغي أن تتمّ مرّة واحدة، ليكون ألمها مفردا فتُنسى سرعا، أمّا الحسنات فينبغي أن تعطى شيئا فشيئا ليكون قدرها أعظم والتمتّع بها أتمّ ».[2] فتصنيف ميكيافلي لأشكال الحكم قائم على مبدأ متعلّق بالوسائل الّتي تمنح القوّة أو تفقدها، وما يهمّه أساسا هو الشّروط التّجريبيّة والفعليّة لتكوّن السّلطة، ثمّ سبل نجاعتها واِستمرارها[3].

نظام الحكم الأمثل عند ميكيافلي:

يستبعد ميكيافلي حالة الملكيّة الوراثيّة، لأنّه يعتبر أنّ حكمها سهل حتّى لمن لا يملك كفاءات خارقة، كما أنّه كان يحتقر حكومة الكهنة[4]. كما عارض النّظام الأرستقراطي، لأنّه اِعتبره نظام يؤدّي إلى التّفرقة[5].

مثل ما ذكرنا سابقا أنّ ميكيافلي قد تحدّث عن النّظام الجمهوري في كتابه المطارحات، أمّا في كتابه الأمير فقد أسهب في الحديث عن الإمارات أي الحكم الملكي، وقد بيّنا كيف يتمّ الوصول والمحافظة عليه. إذن« فقد ميّز ميكيافلي بين النّظام الملكي والنّظام الجمهوري إعتمادا على معيار عدد الحائزين على السّلطة، فإذا كانت السّلطة في يد شخص واحد كان نظام ملك أي إمارة، أمّا إذا كان فيه السّلطة في أيدي ممثّلي الشّعب... فسيكون نظام حكم جمهوري »[6]

وقد قارن ميكيافلي بين النّظامين وتوصّل إلى أنّ[7]:

1- النّظام الجمهوري قابل للتطّور على عكس الملكي المتميّز بالجمود ورفضه لكلّ جديد.
2- الحكم الجمهوري يحقّق العدالة بين الكفاءات، أمّا الملكي بما أنّه وراثي يتنافى مع العدالة والمساواة.
3- الحكم الجمهوري يلتزم بالإتفاقات والمعاهدات الدّولية، على عكس النّظام الملكي فيهتمّ بالمصالح الشّخصيّة حتّى لو ألحق الضّرر بشعبه.

---

1 كافيين رايلي، مرجع سابق، ص12.
2 نيقولا ماكيافلي، الأمير، تر:محمّد لطفي جمعة، مصدر سابق، ص69.
3 ياسين خليل، مرجع سابق، ص63.
4 جان توشار، مرجع سابق، ص202.
5 محمّد فتح الله الخطيب، مرجع سابق، ص102.
6 موسى ابراهيم، مرجع سابق، ص35.
7 موسى ابراهيم، مرجع سابق،ص38.

من خلال هذه الفوارق الّتي حدّدها ميكيافلي بين النّظامين الجمهوري والملكي، يقرّ بأنّ الجمهوريّة أعلى مرتبة من الإمارة لكنّها صورة من صور الحكم لا تناسب أيّ أمّة، إذ يرى أنّه لا بدّ أن تتوفّر درجة كبيرة من القدرة Virtu حتّى يتسنّى للشّعب الحفاظ على هذا النّظام، لأنّ السّمة الأساسيّة للحكومة الجمهوريّة هي الحريّة ومن الخطر أن تعطى الحريّة فجأة لمن هو غير معتاد عليها[1].

يقول ميكيافلي في كتابه المطارحات:« إنّ مثل هذا الشّعب لا يختلف كثيرا عن الحيوان الشّرس، خلقته الطّبيعة على الشّراسة، وألف العيش في الغابات، ثمّ جيء به أسيرا ليقضي حياة الأسر والعبوديّة، ولينشأ فيها ويألفها، بعد أن تمّ لآسريه ما أرادوا له، أطلقوا سراحه ليجول في الأرياف كما يشاء، ولمّا لم يجد مكانا يأوي إليه، فقد وقع فريسة سهلة في أيدي أوّل من صادفهم ليعيده إلى الأغلال والقيود...»[2]

إعجاب ميكيافلي بالنّظام الجمهوري كان واضحا في كتابه المطارحات، فقد تحدّث فيه عن إنجازات الأبطال، وكيف أنّ روما قد حقّقت المجد وحقّقت انتصارات يشهد لها التّاريخ بها. فقد كان ميكيافلي يأمل لتطبيق نظام جمهوري، وتحقيق جمهوريّة إيطاليّة لها جيش قويّ، وتملك مستوى راق من الحريّة المدنيّة، لكن ما منعه في ذلك هو الوضع الّذي كانت تعيشه إيطاليا من إنحطاط أخلاقي وديني، لذلك رأى أنّه من الصّعب إصلاح المجتمع بواسطة النّظام الجمهوري، لأنّ هذا الإنسان -مثلما ذكرنا في المقولة السّابقة لميكيافلي- لم يعتد الحريّة وكان يعيش حياة وحشيّة، إذن فلن تتحقّق غاية إصلاح المجتمع والشّعب إلاّ بواسطة أمير يحقّق بالدّكتاتوريّة والطّغيان ما اِستحال تحقيقه بالحريّة[3].

من هنا فقد أوصى ميكيافلي الأمير بالحكم الإستبدادي في حالتين: حالة إنشاء دولة، وحالة إصلاح دولة فاسدة، ففي الحالة الأولى حتّى يضمن إستمرارها لا بدّ أن يسمح للنّاس بنصيب في الحكومة، وأن يسيّر الحاكم شؤون دولة وفقا للقانون ومراعيا حقوق رعاياه، أمّا الحالة الثّانية، فيرى ميكيافلي أنّ الحكم الإستبدادي دواء سياسي مفعوله قويّ وهو كالسمّ لا بدّ من اِستخدامه بحذر لإصلاح دولة فاسدة[4].

نُلاحظ بعض التّناقض بين كتابه الامير وكتابه المطارحات في تركيز كلّ منهما على نظام معيّن، فرغم إعجابه بالجمهوري، إلاّ أنّه ينادي بتطبيق الملكي، وهذا سبب عدم تحدّثه عن الحكم الجمهوري في كتابه الأمير، لأن هذا الأخير يعتبر قواعد عمليّة للأمير النّاجح، والأمير القوي الّذي سيخلّص إيطاليا من كل أشكال الفساد، أمّا المطارحات فلم يقدم فيه ميكيافلي أي

[1] إمام عبد الفتّاح إمام، الاخلاق والسّياسة، مرجع سابق، ص253،252.
[2] نيقولا ميكيافلي، المطارحات، مصدر سابق، ص278.
[3] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص32.
[4] عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص87،86.

أوامر أو نصائح، هو مجرّد ذكر لتاريخ روما المزدهر، وتبيين عظمة حكّامها. لكن مع ذلك فقد وصل ميكيافلي إلى نتيجة مفادها: أنّه يؤمن بالنّظام المطلق القائم على الحكم الإستبدادي بواسطة القوة من أجل إصلاح المجتمع والفرد، وإذا تحقّقت هذه الغاية وتخلّى الشّعب عن فساده حينئذ يطبّق النّظام الجمهوري الدّيمقراطي[1].

وبالتّالي فإنّ النّظام الدّكتاتوري الّذي يدعو له ميكيافلي يعتبر نظام يُفرض لحالة مؤقّتة، ولفترة محدودة، وسلطة هذا النّظام تدوم بقدر الظّروف الإستثنائيّة الحاصلة الّتي تجعل للحاكم رخصة شرعيّة لتطبيق هذا النّظام، والحجّة في ذلك حسب ميكيافلي أنّ سير حكم الجمهوريّة عادة يكون بطيء جدّا، وعندما يواجه الدّولة شرّ غير منتظر، لا بدّ من عدم الإنتظار والتّأخير، وهنا ما يستدعي تغيير النّظام كحلّ مؤقّت[2].

لكن يحذّر ميكيافلي من أن تكون الدّكتاتوريّة سبب في اِنقلاب النّظام الجمهوري إلى نظام الطُّغيان، لذلك يؤكّد ميكيافلي لأن لا يطول هذا الإستخدام للدّكتاتوريّة كأقصى حد خمسة سنوات، وأن لا يطبّق إلاّ لغرض معيّن يكون في صالح حماية الدّولة[3].

المطلب الثّالث: ضرورة الحرب والجُند.

يقول ميكيافلي في مقدّمة كتابه فنّ الحرب: « الجيش للدّولة السّقف للقصر يحمي ما بداخله » فإذا بنى الشّعب دولة جميلة ووضع في كلّ أنحائها قوانين ودساتير، ولكن بلا جيش يحميها، فسوف تهاجمها الأمم وتمحي هذا الجمال في لحظات، فمهما كان نوع بيتك و كونه بلا سقف يحميه فهو مشاع مباح للجميع يهاجمه كيف يشاء[4].

إنّ جوهر الكتابة السّياسيّة عند ميكيافلي تتمثّل في تنقيبه عن الوسائل الّتي تحقّق قوّة الدّولة في الخارج وسيادتها في الدّاخل، فبحث في عناصر اِستمراريّتها، وعناصر ضعف وانحطاطها وانهيارها، فتوصّل إلى أنّ قوّة الدّولة واستمراريّتها يعتمد على نوع جيشها.[5] يقول ميكيافلي:«

---

[1] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص39.
[2] جان جاك شوفلييه، تاريخ الفكر السّياسي، مرجع سابق ، ص234.
[3] عبد الرّضى حسين الطعّان وآخرون، مرجع سابق، ص36.
[4] نيقولا ميكيافلي، فنّ الحرب، مصدر سابق، ص16.
[5] إسماعيل زروّخي، مرجع سابق، ص181.

وقد سبق لي أن أكّدت على أهميّة وجود الدّعائم القويّة الّتي تساند الأمير، إلاّ كان القضاء عليه مؤكّدا، وأهمّ هذه الدّعائم... هي وجود القوانين الجيّدة والأسلحة الجيّدة... وسأتحدّث فقط عن الأسلحة »[1]

كان ميكيافلي شديد التألّم من حال وضعف الدّولة الإيطاليّة، وبعد أن بحث عن الأسباب، وبالإضافة إلى فترة عمله كدبلوماسي لمدينة فلورنسا، فسّر ضعفها وهوانها وانهيارها بلجوئها إلى المرتزقة، فهو يرى أنّ الجيش الوطني وحده يمكنه أن يؤمّن الأمن، والخدمة الوطنيّة تشكّل أرقى أنواع الإخلاص للوطن[2]. يقول في كتابه الأمير:« فخراب إيطاليا لم يحدث إلاّ بسبب الإعتماد لسنوات عديدة على القوّات المرتزقة »[3]

وحتّى يحقّق الأمير مشروع بناء دولة وضعيّة قويّة يتطلّب وجود جيش من نوع خاص، فقد حاول ميكيافلي اقناع الإيطاليّين بإقامة جيش وطني وإلغاء نظام المرتزقة، وفكرة عدم الإعتماء على جيوش المرتزقة جاءت نتيجة تجارب علميّة، إذ أنّ الإيطاليّون كانوا يديرون شؤونهم السّياسيّة بأنفسهم، أمّا حروبهم فكانت المرتزقة تخوضها مقابل مبالغ ماليّة، لأن المرتزقة كان ولائهم للمال وليس للحاكم للدّولة، لذلك كانوا يحاربون دون أن يجرحوا أو يقتلوا جاعلين الخسائر البشريّة قليلة، وأيضا يطيلون قدر الإمكان مدّة الحرب، حتّى يكون ربح الأموال أكثر، إذ أنّ يوم النّصر أو الهزيمة أتعس يوم بالنّسبة لهم، لأنّه ينتهي معه الرّبح والفائدة ممّن يحاربون بدلا عنهم[4]. وبهذا يكون ميكيافلي قد هاجم اِستخدام جنود المرتزقة في دفاعهم عن الوطن، ورأى أنّ فيهم خطر على أمن الدّولة أكثر من أعدائه وهم مستعدّون للتخلّي عنك بسبب المادّة. فيقول ميكيافلي:«... من يقيم دولة على أسلحة قوّات مأجورة لن يستطيع التأكّد من قوّة وثبات ولايته، لأنّها قوّات مفكّكة ولها مطامعها الخّاصة، ... وهي تبدو قويّة أمام الأصدقاء، ولكنّها جبانة عند مواجهة الأعداء »[5]

ويشير ميكيافلي في كتابه الامير في الفصل الثّاني عشر، أنّه يوجد نوعين من المرتزقة: مرتزقة أكفّاء و مرتزقة غير أكفّاء، فالنّوع الأوّل لا يمكن الإعتماد عليهم لأنّهم يسعون إلى إثبات عظمتهم من خلال طريقتين: إمّا ان يقوموا بابتزازك رغم أنّك سيّدهم، أو يضغطون عليك فيما ليس في صالحك. أمّا النّوع الثّاني فإنّه يدمّرك تماما[6].

وهناك نوع آخر للجنود يتحدّث عنه ميكيافلي ويعتبره في نفس الخطورة مع جنود المرتزقة، وقد تكلّم عنهم في الفصل الثّالث عشر، وهم القوّات المعاونة، يقول في ذلك:«...

---

[1] نيقولا ميكيافلي، الأمير،تر:أكرم مومن، مصدر سابق، ص66.
[2] جان توشار، مرجع سابق، ص205.
[3] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر: أكرم مومن، مصدرسابق، 66.
[4] عبد الرّضى حسين الطعّان وآخرون، مرجع سابق، ص31.
[5] نيقولا ميكيافلي، مصدر سابق، ص66.
[6] المصدر نفسه، ص67.

عديمة النّفع مثل قوّات المرتزقة... وقد تكون هذه القوّات جيّدة في حدّ ذاتها، لكنّها دائما مصدر خطر على من يستعيرها، لأنّها إذا خسرت المعركة، فإنّك تكون قد هُزمت، أمّا إذا ربحتها فإنّك ستبقى أسيرا لتلك القوّات »[1] يعني أنّ القوّات المعاونة قد تلحق بك الضّرر أكثر من المرتزقة لأنّهم متّحدون وولائهم للآخرين وليس للأمير، وبالتّالي فقوّات المرتزقة تحمل صفة الجبن وتبقى مرتبطة بك لأنها تستلم رواتبها من عندك، أمّا المعاونة فتملك الشّجاعة وهناك تكمن خطورتها.

ويقدّم لنا ميكيافلي مثالا عن الفلورنسيّين فقد كانوا يفترون إلى القوّات العسكريّة، فاستأجروا عشرة آلاف فرنسيّ لمهاجمة بيزا، وتعرّضوا بذلك للخطر ممّا دفع امبراطور القسطنطينيّة إلى اِرسال عشرة آلاف جنديّ تركيّ إلى اليونان، وبعد اِنتهاء الحرب رفض هؤلاء الجنود العودة، فبدأت العبوديّة الطّويلة، الّتي عاشتها اليونان في ظلّ الكفرة[2].

وكثيرة هي الأمثلة التّاريخيّة الّتي قدّمها ميكيافلي، والّتي يصل من خلالها إلى نتيجة مفادها في قوله:« أوّد أن أصل إلى نتيجة، وهي أنّ الأمير الّذي لا يعتمد على قوّاته الخاصّة لا يشعر بالطّمانينة والسّلامة، فهو على العكس، يعتمد كليّة على حسن الطّالع، لاِفتقاره إلى الأساليب الصّحيحة للدّفاع في أوقات الأزمات »[3]

وبالتّالي فإنّ أهمّ العوامل الّتي يراها ميكيافلي تقوّي الرّوح الوطنيّة لدى المواطنين ولدى الدّولة، هي بناء جيش وطني قومي من أبناء الشّعب لا من المرتزقة، يكون معتزّا باِنتمائه للوطن وللدّولة، قادرا على الدّفاع عنها دون إنتظار مقابل، لأنّ مبدأه يكون وطني.[4] فبما أنّ طالب بتدريب جيش من المواطنين وإعداده، فهو يقترح تعميم الخدمة العسكريّة لجميع المواطنين من الرّجال ما بين سنّ السّابعة عشر و الأربعين، وهذا الّذي دعى له ميكيافلي يقوّي الجيش ويحمي الدّولة والأمير من الثّورات الدّاخليّة، ويواجه أطماع الدّول الخارجيّة، وبمثل هذه القوّات الّتي يستمدّها من قوّة جيشه يستطيع أن يحافظ على سلطته، وأن يوسّع حدود دولته وبدونها يصبح فريسة سهلة للشّقاق لمن في الدّاخل، ولطموح الأمراء في الخارج[5].

إنّ ميكيافلي لم يكن عبقريّا في مجال الإستراتيجيّة السّياسيّة فقط، ولكن قد أظهر ذكاءًا وحنكة في مجال الإستراتيجيّة العسكريّة، وكتابه"فنّ الحرب" خير دليل على ذلك، ممّا ترك بصمة في كبار المفكّرين في مجال الإستراتيجيّات العسكريّة، كما أنّه يعكس صورة الإنسان الجدير بإطلاق عليه صفة القائد الجيّد[6].

---

[1] المصدر نفسه، ص72.
[2] نيقولا ميكيافلي،الامير،(تراث الفكر السّياسي قبل الأمير وبعده)، مصدرسابق، ص 126.
[3] المصدر نفسه، ص130.
[4] إسماعيل زرّوخي، مرجع سابق، ص183.
[5] موسى إبراهيم، مرجع سابق، ص 40،39.
[6] نبيل راغب، مرجع سابق، ص68.

في الفصل الرّابع عشر من كتاب الأمير، يوضّح أنّ الأمن يجب أن يكون الشّغل الشّاغل للأمّة ويقصد بالأمن "الحرب"، يقول في ذلك: « يجب على الأمير إذن أن لا يكون له همّ غير الحرب، وألاّ يشغل تفكيره شيء غيرها... وفنّ الحرب فنّ ناجح لا يقف نفعه عند حماية ممّن يرثون الإمارة، بل يتجاوز ذلك فهو الّذي يرفع النّاس العاديّين إلى مصافّ الأمراء... لوحظ أنّ الأمراء الّذين اشتغلوا بالملذّات... فقدوا مناصبهم وأوّل ما جعلهم يفتقدون لمناصبهم هو اِهمالهم لفنّ الحرب »[1]

يعتبر ميكيافلي أوّل من نادى بمبدأ أفضل طريقة للدّفاع هي الهجوم، وأنّ الإستراتيجيّة العسكريّة تعتبر دفاع عن الوطن في السّلم أو الحرب، ولا بدّ للقائد السّياسي أن لا يتغافل عن الإضطراب حتّى لا يتفاقم هذا الأخير، لمجرّد أنّه يرغب في تجنّب الحرب، وبالتّالي عليه أن لا يتجنّب شنّ الحروب، وإنّما يتمّ تأجيلها فقط[2].

ففي كتاب فن الحرب، يقدّم ميكيافلي مجموعة من المبادئ المهمّة الّتي لا بدّ للقائد الّذي يسعى لتحقيق النّصر، وقهر العدو الأخذ بها واعتبارها مرجعيّة أساسيّة لكلّ الحروب والمعارك. فنجده يقول في ذات الكتاب: « لا تقد أبدا جنودك غلى أرض المعركة غلاّ إذا تأكّدت اوّلا من روحهم المعنويّة العالية، وأنهم يسيرون بلا خوف أو إجبار، ولا تختبرهم أبدا إذا رأيت أنّهم يأملون في الإنتصار»[3] من خلال هذا القول نستنتج أنّ ميكيافلي كالمحلّل النّفسي، وحتّى في مجال الحرب لا بدّ من مراعاة روح ونفسيّة الجنود لأن روحهم المعنويّة عندما تكون عاليّة يعدّ كسب لنصف المعركة قبل بدئها[4].

كما يوصي ميكيافلي القائد بأن يغرس في نفوس جنوده حبّ النّصر فندعّم هذه الفكره بقوله:« قبل كلّ شيء لا يجب عليك أبدا قيادة جيش للحرب وهو خائف أو غير واثق للنّصر فأكبر دليل على الخسارة الوشيكة هو أنّه لا يؤمن الفرد بقدرته على الإنتصار»[5]

وينصح أيضا القائد العسكري بأن يحسن التّخطيط وأن يكون بارعا في وضع إستراتيجيّات عسكريّة محكمة ومضبوطة مراعيا كلّ الظّروف ومهتما لكلّ التّفاصيل وحتّى قارئا لما يجول في عقل العدو.[6] ونصائح الأمير لا تقتصر على القائد فقط بل يتوجّه بها إلى الجنود أيضا بقوله: «الضّرورات يمكن أن تكون كثيرة، ولكن أقوى وأهمّ ضرورة يجب أن تقيّد بها نفسك هي أن أنتصر أو أن أموت »[7]

[1] لويس عوض، مرجع سابق، ص 90.
[2] نبيل راغب، مرجع سابق، ص 69.
[3] نيقولا ميكيافلي، فنّ الحرب، مصدر سابق، ص 17.
[4] نبيل راغب، مرجع سابق،ص 69.
[5] نيقولا ميكيافلي، فن الحرب، مصدر سابق،ص20.
[6] نبيل راغب، مرجع سابق، ص 69.
[7] ميكيافلي، فن الحرب، مصدر سّابق، ص19.

إنّ في مجال الحروب كما هو معروف، هناك فن يطلق عليه بالمناورات أو الإشاعات، هذا الفنّ قد يساعد القائد في تحقيق النّصر من خلال غرس الإرتباك في جيوش العدوّ فيقول: « في بعض الأحيان تكون هناك لحظة عظيمة والمعركة دائرة تقوم بنشر كلمات مثل غنّ قائد الأعداد قد مات أو هُزم عن طريق فرق أخرى من الجيش، لقد منحت هذه الطّريقة النّصر مرّات عديدة لمن إستخدموها»[1]

كما أنّ من بين الأعمال المهمّة الّتي لا بدّ أن يتقيّد بها القائد وأن يفعلها قبل أن يباشر في أعماله، هو أن يقرأ لمعارك وقتٍ سالفا، وأن يتتبّع تاريخ الأبطال ويستفيد من دروسها، حتّى يكون القائد ناجح، لأنّ كما ذكرنا سابقا فإنّ ميكيافلي اِعتمد في بنائه لأفكار السياسيّة وفي تنظيره للدّولة عن التّاريخ ومن خلال تجاربه السّابقة الّتي اِستقاها من الواقع والممارسات السّياسيّة في بلاد الحكّام والملوك وفي ساحات المعارك، وكلّ النّصائح المقدّمة للأمير هي حوصلة تجاربه عن كيف تُحكم البلاد وكيف حُكمت الشّعوب، فحسب ميكيافلي فإنّ نفس الأسباب تؤدّي لنفس النّتائج، والسّبب أن الصّانع للتّاريخ هو نفسه الإنسان عبر كلّ الأزمنة وطبيعته كما ذكرنا لا تتغيّر لا بتغيّر الزمان ولا المكان.

---

[1] المصدر نفسه، ص18.

المطلب الرّابع: قواعد الممارسة السياسية عند ميكيافلي.

في بادئ الأمر لا بدّ من الإشارة إلى أمر أكّده ميكيافلي وذكرناه في المطالب السّابقة، وهو أنّ الدّولة النّاجحة يجب أن يؤسّسها رجل واحد يكون هو المشرّع بحيث يتمكّن من إصلاح دولة وإعادتها إلى مبادئها الأولى[1]. يوصي ميكيافلي الأمير قبل أن يشرع في تطبيق الحكم أن يضع نصب عينيه وأن يتذكّر دائما « أن البشر هم بطبعهم خبثاء يتمسّكون بالمصالح الماديّة أكثر من تمسّكهم بالمبادئ والأخلاق»، من هنا تبادر في ذهن ميكيافلي سؤال مهمّ: كيف يمكننا بناء نظام سياسي مستقرّ بناءا على الطّبيعة البشريّة الأمّارة بالسّوء؟ يؤكّد ميكيافلي ليجيب عن هذا التّساؤل أنّه لا بد من بروز أمير قومي يعرف كيف يمارس السّياسة، ولا بدّ أن يسعى إلى السّلطة وإلى بناء دولة مستقرّة[2]. أي أنّ سلطة الحاكم يجب أن تركّز على ضرورة إنقاذ المجتمع من الفوضى، وأنّ أيّ ضعف في الحكم يؤدّي إلى شعور الإنسان بالقلق وعدم الإطمئنان، وبالتّالي يبدأ ظهور العدوان والفوضى بين أفراد المجتمع[3].

إنّ الأمير الجديد مهما كانت طريقة وصوله للحكم، سواء بفضل مؤهّلاته أو بواسطة الحظّ أو بواسطة الغدر، فإنّ عليه إتّباع مجموعة من القواعد العمليّة، الّتي تتّفق مع ضرورات السّلطة والطّبيعة البشريّة والرّعيّة[4]. وفي المقابل له مطلق الحريّة في سلوكاته وتصرّفاته السّياسيّة دون أي إلتزام بأوامر الدّين ونواهيه، إذ أنّه لابدّ أن يضع نصب عينيه توحيد إيطاليا تجاهلا كلّ الإعتبارات الأخلاقيّة وسلطة الضّمير، والمبادئ المثاليّة[5].

ومن هنا تطلّب على ميكيافلي أن يضع مجموعة من الصّفات والممارسات العمليّة، الّتي لا بدّ للأمير أن يتقيّد بها في ممارساته السّياسيّة سواء على الجانب الدّاخلي، أو الخارجي. أي أنّ ميكيافلي رسم إستراتيجيّة عمل الأمير بوصفه الرّجل الذّي سيحقّق الأمن ويحقّق وحدة إيطاليا ويخلّصها من قبضة الدّول الخارجيّة.

يقول ميكيافلي:« إنّه كثيرا ما يضير على الأمير أن يتحلّى بالصّفات الحسنة وأن يعمل على هداها في حين أنّه من الخير أن يبدو فقط متحلّيا بها، بل لا حرج على الدّين أن يأثم في حقّ الدّين والفضيلة و الإنسانيّة، إذا رأى أنّ المحافظة على الدّولة تتطلّب منه اِرتكاب مثل هذا الآثام، فمبادئ الدّين والأخلاق لا يجب أن تقف عائقا في سبيل المحافظة على كيان الدّولة »[6]

[1] محمّد على محمّد وعلي عبد المعطي محمّد، مرجع سابق، ص107.
[2] عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص163.
[3] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص25.
[4] جان جاك شوفالييه، مرجع سابق، ص236.
[5] محمّد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، دار المعرفة الجامعيّة،ج4،(دب)، 1996م، ص24.
[6] نيقولا ميكيافلي، الامير، تر:محمّد لطفي جمعة، مصدر سابق، ص36.

إذن سنحاول ذكر أهم القواعد والنّصائح والصّفات الّتي وجّهها ميكيافلي للأمير لكي يتّصف بها في مجال السّياسة فقط، مستندين في ذلك على كتاب الأمير.

فمن النّاحية الأخلاقيّة، أوصى ميكيافلي الأمير أن يتخلّص من الأخلاق والتّقاليد والبدع والقيم المسيحيّة وخاصّة صفة التّواضع والرّضوخ للحكّام، واِستعمال الدّين كوسيلة لكسب الشّعب فقط، أمّا الّذي يريد أن يحمل سيرة فاضلة في كلّ ضرف وعلى لسان كلّ شخص فعليه أن يحيى حياة خاصّة ولا يفكّر في الحكم، لكن سيكون مصيره الهلاك بين الأشرار[1]. وكلّ هذا تطرّقنا إليه في ما يخصّ فصل ميكيافلي السّياسة عن الأخلاق وبراغماتيّة الدّين عنده.

صحيح نجد أنّ ميكيافلي قد ألغى المبادئ الأخلاقيّة عن الممارسة السّياسيّة لكن هذا لا يعني أنّه حامل لهذه الصّفات ، أو ينادي بها، فالمهمّ في الأمر أنّ هذه الاخلاق أطلق عليها أخلاق السّاسة، يعني خاصّة بالسّياسيّين من الحكّام، فلا بأس أن يكونوا يتّصفون بالفضيلة والتّسامح والمحبّة والرّأفة، لكن يكون ذلك على صعيد حياتهم الشّخصيّة أما في حياتهم السّياسيّة فلا بدّ أن يلبسون ثياب أخلاق السّاسة.

يقول ميكيافلي:« يجب أن يكون الحاكم الّذي يرغب في الحفاظ على حكمه مستعدّا للتصرّف بصورة لا أخلاقيّة، كما يجب عليه أن يكون منافقا، ومدّعيا كبيرا ومستعدّا للتصرّف بغدر وبقسوة وبلا إنسانيّة، ويتجاهل مبادئ الدّين بهدف الحفاظ على السّلطة السّياسية.»[2]

أمّا ممارسات الأمير من ناحية السّياسة الدّاخليّة، أي بين شعبه وداخل إمارته، فعليه أن يجمع بين حبّ النّاس وخوفهم منه، وإذا تعسّر ذلك فعليه أن يكون مُخافا، يقول ميكيافلي في كتابه الأمير في الفصل السّابع العشر من خلال طرحه لسؤال: هل من الأفضل أن تكون محبوبا أو مهابا؟ « ينبغي أن يكون الإنسان محبوبا ومهابا في نفس الوقت، ولمّا كان من الصّعوبة الحفاظ على الصّفتين معا، فإنّ المهابة في هذه الحالة أفضل بكثير»[3] وهذا بالطّبع راجع لطبيعة الإنسان الانانيّة و الناكرة للمعروف فيقول:« إنّ البشر يتردّدون في الإساءة لمن يحبّون أكثر من إيذاء من يهابون»[4] وحتّى لو لم يكن محبوبا فعليه أن يحذر من أن يكون مكروها، وحتّى لا يحدث ذلك لا بدّ أن: لا يتدخّل في أمور رعاياه، و أن يبرّر سبب أفعاله السيّئة كالإعدام، و أن لا يستولي على أملاك غيره، وان لا يحرمهم من حقوقهم لأنّ الإنسان قد ينسى مقتل والده، ولكنّه لا يغفر أبدا لمن أخذ ميراثه منه[5].

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط6، القاهرة، (دس)، ص25.
[2] جيري بروتون، عصر النّهضة، مقدّمة قصيرة، تر: إبراهيم البيلي محروس، مراجعة: هبة نجيب مغربي، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة،ط1، 2014م، ص45.
[3] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر:أكرم مؤمن، مصدر سابق، ص86.
[4] المصدر نفسه،ص86.
[5] نيقولا ميكيافلي، الامير، تر:أكرم مؤمن، مصدر سابق، ص87.

وفي الفصل السّادس عشر تحت عنوان" حول السّخاء والشحّ" تساءل ميكيافلي هل يتوجّب على الأمير أن يتّصف بالشّح أم السخاء، يجيب ميكيافلي بقوله:« من الأفضل للأمير أن يكون كريما سخيّا إلاّ أنّ السّخاء بمعناه عن العامّة قد يُؤذي صاحبه »[1] يحيلنا هذا أنّ ميكيافلي يفهم السّخاء من زاوية أخرى فيقول:« إذا استخدم الكرم بالطّريقة الصّحيحة وبمعناه الحقيقي، فلن يعلم أحد عنه أيّ شيء »[2] إذن فميكيافلي ينصح الامير بأن يشهّر بسخائه من خلال توضيحه لمظاهر الفخامة حتّى لا يكلّفه ذلك إستهلاك جميع موارده، حتّى لا يضطرّ إلى فرض ضرائب للنّاس ممّا يؤدّي إلى نشر الكره له اتجاه رعاياه.[3] فمن يمارس السّخاء والكرم بالمفهوم العام، لا بدّ من الامير أن يواصل في هذا الفعل لانّ الرعايا قد إعتادوا عليه ولو يبخل مرّة واحدة عليهم يسمّى بخيلا وقد يجلب الكره له، لكن لا بدّ أن يكون الأمير ذكيّا في إستغلال هذا الصّفة لصالحه ولصالح الدّولة ليضمن حبّ الشّعب له، فعليه أن يظهر بمظهر الكريم، ولكن أن لا يكلّف نفسه الكثير، فالنّاس كما ذكرنا يحكمون ممّا يشاهدون، يوضّح ميكيافلي خطر الكرم فيقول:«لا توجد خلّة مهلكة لذاتها أشدّ من الكرم، لأنّك بممارستها تفقد القدرة على ممارستها، فإمّا تصير فقيرا مذلاًّ إمّا تفرّ من الفقر إلى الجشع والإغتصاب وتصير مذموما مكروها، والكرم هو ذلك الّذي يقودك إلى أحد هذين الخطرين، انتساب الإنسان للبخل أقرب للحكمة، لأنّه لا يجب العار ولا يجلب البغضاء، وهو أفضل من الإتّصاف بالجّشع الجالب للدّمار والبغضاء جميعا»[4]

فالسّخاء بامكانه أن يتحوّل من فضيلة إلى رذيلة إذا أسرف الامير بالتحلّي به فيضطر إلى التّضحية بالمزيد من الفضائل والّتي قد تحول إلى فرض للضرائب الثّقيلة، إذ يقول:« من الأفضل أن تكون بخيلا فهذا يعرّضك للتّحقير دون الكراهية، على أن تكون مرغما أن تصبح لصّاً سلاّباً، مما يعرّضك للتّحقير والكراهية معا»[5]

فالمحبّة والرّحمة والشّفقة ليس لها وجود في الحياة السّياسيّة، فميكيافلي يؤمن بمبادئ السّيطرة والقوّة والخداع والتّآمر، فعلى الامير ان يستعمل العنف والقوّة لانّ القوّة تولّد الخوف والخوف مهمّ لإدارة الشّعب لا الحب.

أمّا في ما يخصّ صفات الأمير في علاقاته مع الدّول الخارجيّة فعليه أن« يكون أسدا وثعلبا، فإن لم يكن إلّا أسدا فإنّه لن يرى إلّا الفخاخ، إذ أنّ الغابة الدّوليّة مليئة بالفخاخ، وإن لم

---

[1] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر: محمود لطفي جمعة، مصدر سابق، ص89.
[2] المصدر نفسه، ص89.
[3] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر: محمود لطفي جمعة، مصدر سابق، ص89.
[4] المصدر نفسه، ص 90.
[5] إسماعيل نوري الربيعي، صناعة الزّعيم (قراءة في العقل الميكيافلي)، مجلّة دفاتر السّياسة والقانون، العدد الثّامن، جانفي 2013م، ص162.

يكن إلّا ثعلبا فإنّه يكون عاجزا أمام الذّئاب لأنّ الغابة مليئة بالذّئاب »[1] وعليه لا بدّ أن يكون ثعلبا من أجل كشف الفخاخ، وأسدا من أجل ترويع الذّئاب[2].

وفي كتابه الأمير خصّص فصلا دعى فيه الحاكم بالنّكث بالعهود، إذ ينصح الامير بأن لا يلتزم بوعد قطعه إذا كان الوفاء يعرّضه للخطر، مادام النّاس أشرارا لا يحترمون العهود[3].يقول: «لا يغفل على أحد ما يلحق بالأمراء من الثّناء إذا اشتهروا بالحفظ بالوعود ومراعاة العهود، ولكنّه تجارب زماننا هذا دلّت على ان الامراء الّذين لم يراعوا العهود قاموا بأعمال كبيرة، وتمكّنوا من تحيير أوهام النّاس بمكرهم، وتغلّبوا في نهاية الامر على الأمراء الّذين اِتّخذوا الامانة عادة والوفاء أساسا لحياتهم»[4] لذلك على الأمير أن لا يكون شريفا وصاحب ضمير، لأنّ الطّيبة تجلب لصاحبها المصائب، والّتي ليس لها مكانة في علم السّياسة الّتي تقوم على المصالح و الغايات، وعليه لا بدّ من عدم الحفاظ على العهود لأن الإلتزام بعهد قد يُكلّف الكثير، وأن يمتلك للحيلة.

---

[1] جان جاك شوفالييه، مرجع سابق،ص243

[2] المرجع نفسه، ص243.

[3] شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، مرجع سابق، ص35.

[4] نيقولا ميكيافلي، الأمير، تر:محمّد لطفي جمعة، مصدر سابق، ص94.

الفصل الثّالث: أثر الميكيافليّة على الفكر السّياسي الحديث والمعاصر.

المبحث الأوّل: تأثير فكر ميكيافلي على المستوى الفلسفي.

المطلب الأوّل: توماس هوبز.

المطلب الثّاني: فريديريك نيتشه.

المبحث الثّاني: تأثير فكر ميكيافلي على مستوى الممارسة السّياسيّة.

المطلب الأوّل: حضور ميكيافلي في الممارسات النّازيّة.

المطلب الثّاني: حضور ميكيافلي في الممارسات الفاشيّة.

المبحث الأوّل: تأثير فكر ميكيافلي على المستوى الفلسفي.

المطلب الأوّل: توماس هوبز Thomas Hobbes(1588-1679م).

يعتبر "توماس هوبز" أوّل الفلاسفة السّياسيّين في العصر الحديث الّذي حلّل نشأة المجتمع المدني وقيام الدّولة تحليلا عقليّا خالصا، بعيدا عن التّراث اليوناني القديم والوسيط المتمثّل أوّلا في النّظرة المثاليّة في تشكيل الدّولة الّتي تسعى لتكوين فرد يتميز بصفات الفضيلة،و ثانيا في

الأفكار السّائدة الّتي تدّعي بأنّ الملك يحكم بأمر الله[1]. فلسفته السّياسيّة جاءت نتيجة تأملاته في أحداث بلده وخوفه من نشوء حروب أهليّة، وهو بالتّالي نظريّته كانت بعيدة عن ماكان سائدا في العصور اليونانيّة والوسطى، فهو لم يحاول بناء يوتوبيا قائمة على أناس أفاضل، ولم يدرس المجتمع من جانب ديني، وإنّما أسّس لسياسة من خلال دراسته للواقع وما يحتويه من مشكلات[2].

إذا كان الإنسان حسب هوبز في الحالة الطّبيعيّة مفطور على حبّ الذّات والأنانيّة والرّغبة في التملّك وبذلك تتصادم المصالح والرّغبات وتنشأ حرب الكّل ضد الكل، فكيف يمكن لهذا الشّخص أن ينتقل إلى الحالة المدنيّة الّتي يسودها الأمن؟ يجيب هوبز بأنّ هناك وسيلتان العقل والعاطفة، فالعقل يؤسّس لقوانين الطّبيعة*، بينما العاطفة تتجلّى في بدافع الخوف من الموت، هما اللّتان تدفعان الأفراد للإنتقال من حالة الطّبيعة للمجتمع السّياسي المنظّم، وخلق رجل حامي لممتلكاتهم ومؤمّن لحياتهم، وهي الدّولة أي الوحش (الليفيتان) [3].

ومن هنا يتشكّل مفهوم الدّولة عند هوبز«فهو وسيلة توحيد أفراد متصارعين، ولا تستطيع هذه الدّولة أن تؤدّي هذه الوظيفة إذا لم يتمتّع صاحب السّيادة بسلطة كاملة وغير محدودة. وإذا كان النّاس بالطّبيعة أنانيّون ويظلّون كذلك بإستمرار، فإنّ العامل الوحيد الّذي يمكن أن يربطهم معا بصورة فعّالة هو قوّة مرتكزة في صاحب السّيادة»[4]وهكذا فإنّ هوبز يلغي الحقّ الإلهي في الحكم وينادي بالسّلطة المطلقة، ومفاده أن الملك هو الّذي يستطيع من خلال الحكم المطلق أن يحفظ الأمن والنّظام والإستقرار، ويخلّص المجتمع من الإنسان الذّئب وبالتّالي تتحقّق غاية العقد[5]، هذا المبدأ الأخير-العقد الإجتماعي- هو الذي برّر به هوبز لسيادة القوّة، ويعني أنّ الأفراد يتنازلون عنّ كلّ ممتلكاتهم لشخص يرون فيه القوّة لحفظ أملاكهم وهذا الحاكم لا يكون طرفا في العقد، وبالتّالي فهو ليس لديه أي إلتزامات أمام شعبه غير نشر الأمن والإستقرار بأيّ طريقة يراها مناسبة، فكلّ سلطات الحكم كالتّشريع وإقامة العدل وإستخدام القوّة ...بيد الحاكم[6].

ومن هنا نلمس نقطة الإلتقاء وتصادم فكر ميكيافلي مع هوبز، على اِعتبار أنّ الدّولة هي الحاكم وهذا الأخير أي صاحب السّيادة مثلما يطلق عليه هوبز لديه السّلطة المطلقة الّتي تسمح له بالتصرّف بحريّة شريطة أن يحقق الأمن والأمان وأن يحفظ للنّاس ممتلكاتهم، والوسيلة في

[1] إمام عبد الفتّاح إمام، الأخلاق والسّياسة، مرجع سابق، ص266.

[2]المرجع نفسه،ص277.

*قوانين الطّبيعة: "فكرة او قاعدة عامّة يكتشفها العقل، ليمنع بها المرء من أن يعمل مافيه دمار حياته، أو ما ينتزع وسائل المحافظة على الحياة، وان يستبعد ما يرى أنّه في الإمكان عمله من أجل هذه المحافظة على أفضل وجه"(أنظر: مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص80.)

[3]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص80،79.

[4] فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، تر: محمود سيّد أحمد، المجلس الأعلى للثّقافة،(مجلّد5)، 2002م، ص69.

[5] مفيد الزّيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، ط1، 2004م،ص479.

[6] هشام محمود الإقداحي، تاريخ الفكر السّياسي، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2010م، ص97.

ذلك هي اِستخدام القوّة. فحسب هوبز« المواثيق بغير السّيف ليست سوى ألفاظ، ولا تملك القوّة لتوفير الأمن للمرء على الإطلاق»[1]

ومن بين صفات السّيادة المطلقة أيضا الّتي يحدّدها هوبز والّتي يتمتّع بها الحاكم، هي القدرة على إصدار القانون ونقضه، وبالتّالي فالقانون المدني« ليس سوى الأمر الّذي يصدره صاحب السّلطة لتنفيذه من قبل رعاياه»[2]

صحيح أن ميكيافلي وهوبز يشتركان في كون الدوّلة تساوي الحاكم أو نستطيع القول أن الدّولة تتجلّى في الحاكم القويّ، لكن ميكيافلي يقرّ أنّ الدّولة كيان وهي موجودة وتمثّل غاية في ذاتها، وما على الحاكم سوى الحفاظ على قوّتها. أمّا هوبز فيرى أنّ الدّولة تنشأ نتيجة حاجة الإنسان للأمن والبقاء وهكذا فالحاكم يستخدم الدّولة وقوّته كوسيلة لبناء مجتمع منظّم ولحماية ممتلكات الرعيّة.

فالقوّة والإحتيال هما الفضيلتان الأصليّتان في العلاقات بين الدّول، إن لم نقل دائما فعلى الأقل يكون ذلك في وقت الحرب، وهنا نجد هوبز يتّفق مع ميكيافلي، ويدعّم ذلك بقوله« ففي جميع الأزمنة يكون الملوك وأصحاب السّلطة العليا في يقضة تامّة وفي حالة استنفار ووضع الجلاد، شاهرين أسلحتهم مصوّبة اتجاه بعضهم البعض»[3] ومن هنا وجب وجود حاكم يتمتّع بالفطنة والحنكة ويستخدم القوّة والبطش للحفاظ على الدّولة من هجمات ومآمرات الدّول الخارجيّة من جهة ميكيافلي، والحفاظ على أمن الشّعب وممتلكاته والسّيطرة على الوضع لتجنّب الحروب الاهليّة حسب غاية هوبز.

بما أنّ ميكيافلي قد حاول في كتاباته فصل الأخلاق عن السّياسة من خلال إباحته لإستعمال الوسائل اللّأخلاقيّة كالقتل والكذب والغش في سبيل تحقيق أمن وقوّة الدّولة، فنجد أنّ هوبز واصل مسيرة ميكيافلي بأن وضع الأخلاق في مكانها الطّبيعي[4]. المتمثِّل في الضّمير الّذي هو من شأن السّلوك الفردي، يعني بذلك أنّنا لا نستطيع أن نجبر أحدا بأن يكون صادقا أو مخلصا أو أمينا ... لأنّها مسألة شخصيّة وتعود إلى تربية الضّمير.[5] وبذلك يكون هوبز قد خلّص الأخلاق من قبضة اللّاهوت وأكّد على أنّه يجب تعريف الخير والشرّ عن طريق ماتحقّقه الرّغبات البشريّة أو ما لا تحقّقه[6]. يعني أن الدّين ليس مصدر القيم الأخلاقيّة وليست معيارا نقيس به خيريّة الشّيء من شرّه، ولكن المشرّع هنا هو الرّغبات. وهنا نلمس جانب من تأثير هوبز بفكر ميكيافلي، وهو القطيعة الّتي أحدثها ميكيافلي مع كنيسة العصور الوسطى، وحاول بناء أخلاق

[1] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص81.
[2] المرجع نفسه،ص85.
[3] وليم كلي رايت، مرجع سابق، ص88.
[4]إمام عبد الفتّاح إمام، الأخلاق والسّياسة، مرجع سابق، ص274.
[5] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
[6]وليم كلي رايت، مرجع سابق، ص92.

تختلف مع الأخلاق المسيحيّة كما كان يصوّرها رجال الكنيسة والّتي تخدم مصالحهم و حالت دون توحيد إيطاليا. وهذا ما أدى بدوره إلى تهجم ميكيافلي للدّين المسيحي باعتباره دين خنوع وخضوع وهوان ولن يحقّق سوى الضعف والتشتّت. فبما أنّ الدّولة هي الحاكم أي صاحب السّيادة، فإذن الدّولة هي الّتي تفرض الأخلاق وليست السّلطة الديّنيّة. وهذا ما يحيلنا إلّا أنّ هوبز أيضا حاول الفصل بين الدّين والدّولة.

وهذا يظهر جليّا من تأليفه لكتاب مهمّ عام 1651م، تحت عنوان" اللّوياثان" والّذي كان موضوعه إقامة دولة قويّة تقضي على كلّ أشكال الفوضى والإضطراب والفتن والحروب الأهليّة، فمن خلال واجهة هذا الكتاب نستنتج أنّ هوبز حسم العلاقة بين الدّين والدّولة فلا يستطيع الإنسان أن يخدم سيّدين، ولا وجود لحلّ آخر إلاّ أن تخضع إحداهما للأخرى، وهكذا أخضع السّلطة الرّوحيّة لسطة الدّولة[1].

يعود السّبب فصل هوبز الدّين عن الدّولة، إلى التّفسيرات الخاطئة والفهم الغير الصّحيح من قبل الكاثوليكيّة للدّين وللكتاب المقدّس، إضافة إلى الخرافات الباطلة الّتي نشرتها ورسّختها في عقول النّاس، والّتي ولّدت فيهم الخوف وجعلتهم يرضخون للدّين والكنيسة، فقد ضرب لنا هوبز العديد من الأمثلة في نهاية كتابه التنّين عن هذه الخرافات الّتي قيّدت عقول الشّباب، لكن هجوم هوبز لم يكن على الدّين بل كان على تعاليم الكنيسة وآرائها وخرافاتها الّتي أثّرت وسيطرت على صدور النّاس وعقولهم[2].

ومن هنا نستنتج أن ميكيافلي كان له أثر واضح على فلسفة هوبز المتعلّقة بمسألة الدّولة، فمثلما اِعتبر ميكيافلي أنّ الدّولة تحقّق قوّتها بواسطة الحاكم القوّي الّذي يبني سلطته بعيدا عن الإعتبارات الاخلاقيّة والّذي يتّخذ من مبدأ القوّة السّبيل لتحقيق الوحدة الإيطاليّة، متجاوزا بذلك كلّ تعاليم الدينيّة، فهوبز أيضا يقرّ بأن الدّولة هي صاحب السّيادة وهذا الأخير هدفه إرجاع ممتلكات الإنسان الّتي فقدها في الحالة الطبيعيّة له، ومن بين أهداف الحاكم أيضا تحقيق الأمن الإسقرار والخروج من حالة حرب الكلّ ضد الكلّ، ولن يتحقّق ذلك إلّا باعتماد الحاكم على القوّة وفق سلطة مطلقة بعيدة عن السّلطة الرّوحيّة، والّتي تسمح له بوضه قواعد القوانين الأخلاقية ، أو القانون الطّبيعي الّذي يحدّد أغراض المجتمع المدني.

[1] إمام عبد الفتّاح إمام، الأخلاق والسّياسة، مرجع سابق، ص275.
[2] إمام عبد الفتّاح إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانيّة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع،(د.ب)، 1985م، ص430.

المطلب الثّاني: فريديريك نيتشه Friedrich Nietzsche(1844-1900م).

كانت أفكار"نيتشه" ثورة فكريّة نقديّة خاصّة في مجال الأخلاق، فلم يوافق فكرة أنّ الأخلاق مرجعيّتها دينيّة ميتافيزيقيّة، فالقيم والفضائل بالنّسبة له دنيويّة لصيقة بالواقع المعاش لا بالواقع الميتافيزيقي، وبالتّالي يكون قد فصل الأخلاق عن كلّ الإعتبارات الدينيّة والرّوحيّة، فقد أكّد نيتشه على أنّ الخير والشرّ من صنع البشر والإنسان هو الّذي يضع القوانين ويسنّها ويفرضها على نفسه، وهي بذلك تكون نسبيّة، فما كان يراه شخص خيرا، يراه آخر شرّا[1].

فإذا كان نيتشه بأفكاره الّتي تعدّ مخالفة لما جاء قبله ممهّدا لحياة مابعد الحداثة، نجد أنّ ميكيافلي قد سبقه في إحداث هذه القطيعة بين الأخلاق وبين القيم الكنسيّة في تصدّيه للأخلاقالمسيحيّة الّتي تتّسمك بالخنوع والخضوع مثلما كان يسميها، محاولا بناء أخلاق تناسب الواقع من جهة ومن جهة أخرى بطبيعة الإنسان،بعيدة كلّ البعد عن المثاليّات الزّائفة. وهكذا نجد أنّ كل من ميكيافلي ونيتشه أنزلا الفلسفة أو لنقل الأخلاق من السّماء إلى الأرض، واهتمامهما منصبّ حول الفعل العملي لا الفكر النّظري.

[1]نهلة محمود على الزق الجمراوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، المجلّة الأردنيّة للعلوم الإجتماعيّة، المجلّد 10، العدد3، 2017م، ص362،359.

إنّ آراء نيتشه في الأخلاق أسّسها من خلال نظريّته في المعرفة، فقد انتقد نيتشه الفلسفات التّقليديّة الّتي تبحث عن الحقيقة في عالم المثاليّات؛ عالم يختلف عن العالم الّذي يعيش فيه النّاس، كما انتقد جميع المعتقدات الدّينيّة الّتي تنادي بالزّهد والبعد عن الحياة والتخلّي عن العالم الأرضي؛ وبهذا يكون نيتشه يعتبر أنّ العقل والفكر ليس لهما أهميّة بل هما مجرّد وسائل وأدوات للتكيّف في الحياة، والعقل برأيه لم ينجم منه إلّا الأخطاء، وبهذا إذا كانت الأشياء دوامها من نفعها فيمكن أن يكون الباطل أساسا للحقّ، لأنّ الحياة برأيه تستعين بكلّ وسيلة تساعد على حياة أفضل[1].

بما أنّ نظرة نيتشه للحياة كانت قريبة لحدّ ما إلى البراغماتيّة فيما يخصّ الجانب الأخلاقي، فإنّنا نلاحظ أنّ ميكيافلي قد سبق كلّ من نيتشه والبراغماتيّين، وكانت فكرته **الغاية تبرّر الوسيلة** أولى الإرهاصات للفلسفة البراغماتيّة، فلم تكن تهمُّه الوسائل بقدر اِهتمامه بتحقيق الغايات،وقد ألغى كلّ الإعتبارات الدينيّة والقيم الأخلاقيّة، والأكثر من ذلك أنّه أرضخ الأخلاق والدّين للدّولة من أجل تحقيق إستقرارها، وبما أنّ الأخلاق ليست ثابتة بذلك تكون الحقيقة أيضا متغيّرة ولا وجود لحقائق مطلقة، فالحقيقة ملازمة للغايات.

وفي نقده للفلسفات القديمة المغالية في المثاليات والروحانيات، جاء نيتشه بفكرة" موت الإله" حتى يعلن من خلالها اِستقلاليّة الفلسفة عن عام المثل والميتافيزيقا، وتوجُّه الفكر فقط نحو دراسة القيم يقول نيتشه في هذا الصّدد:«في الواقع إنّنا نحن الفلاسفة، نحن العقول الحرّة، عند سماع خبر أنّ الإله القديم قد مات، نحسّ وكأنّ أشعّة فجر جديد قد لمستنا، يفيض قلبنا لهذا الخبر، بالشّكران، بالدّهشة، بالتوجّس، بالإنتظار، هاهوذا الأفق صاف من جديد، إن لم يكن صافيا تماما، هاهي ذي سفننا حرّة في استئناف سباقها مهما كلّفها الأمر، هاهي ذي كلّ جرأة المعرفة قد سمح بها، والبحر، بحرنا، هاهو ذا مفتوح من جديد،ربّما لم يكن هناك أبدا بحر مفتوح بمثل هذا الشّكل»[2]

من خلال هذه المقولة نستنتج أنّ نيتشه كان شديد الكره للدّين وللمسيحيّة وللمسائل الروحيّة، ويعتبرها حاجزا أمام الفكر، وكأنّ فكرة الله تجعل للإنسان حدّا لا يمكن تجاوزه في التّفكير، وبالتّالي يعتبرها نيتشه عَقَبة لا بدّ من إزاحتها، ومن ثمّ يُطلَق العنان للإنسان لفكره لرؤيته للواقع و للحقيقة؛ لا تقيّده بذلك أيّ إعتبارات ولا أيّ عقائد، فقط يصبّ اهتمامه نحو ذاته، ويعطيها كلّ الحريّة في التصرّف.

---

[1] المجيد عبد التوّاب شيحة، فريديريك نيتشه فيلسوف ومربّي، حوليّة كليّة التّربية، جامعة قطر، العدد 14، 1997م، ص307،308.

[2] فريدريك نيتشه، العلم المرح، تر: حسان بورقية ومحمّد الناجي، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 2007م، ص204،205.

وجاء كرهه للمسيحيّة على اِعتبار أنّ ليس هناك إله، وأنّ المسيحيّة سيّئة فهي تأكيد زائف عن الحبّ، والشّفقة، والتّعاطف، فهي من أطاحت بالمثل والقيم اليونانيّة، إنّها مفسدة للإنسان الحديث الّذي يسعى لأن يكون روحا حرّة، ويثبت وجوده ويعتمد على نفسه[1].

بما أنّ نيتشه قد أعلن موت الإله، هو بذلك يصرّح أنّ الحياة لا تحكمها أي قوى ميتافيزيقيّة غيبيّة مثلما كان يتصوّر الفلاسفة من ذي قبل وخاصّة الفلسفة التقليديّة، الّتي تقرّ بأنّ هناك قوى مفارقة للطّبيعة هي المسؤوليّة عن حركة هذا الوجود، وحتّى سلوكات الأفراد نتيجة إرادة تمليها عليه. فقد ذهب نيتشه إلى طرح تصوّر آخر تماما يعدّ انقلابا عن التصوّرات القديمة، وأتى بمصطلح "إرادة القوّة" هذاالأخير يعتبره نيتشه الجوهر الّذي يسكن العالم في كلّ مظاهره.

فإنّ مصطلح إرادة القوّة من المفاهيم المهمّة الّتي بنى عليها نيتشه جلّ مؤلّفاته، فكان مصطلح القوّة حسب نيتشه يشير إلى ذلك الإنسان المفرط في إنسانيّته، فهي بمثابة مفتاح يفسّر به السّلوك الإنساني.[2] يقول نيتشه في كتابه "هكذا تكلّم زرادشت":«تساءلت عن علّة الأمور، وعن القوّة الّتي تُرغم الحيّ عن الإنقياد والتحكّم، فتجعله خاضعا حتّى إذا حكم، ولعلّي توصّلتُ إلى سير قلب الحياة إلى الصّميم، فأصغوا إلى قولي أيّها الحكماء، لقد تيقّنتُ وجود إرادة القوّة في كلّ حيّ»[3]

اِعتمد نيتشه على مبدأ إرادة القوّة لسنّ قيم جديدة، بعد هدمه للقيم الإنسانيّة، فمبدأ القيم هو المرجعيّة الّتي لا بدّ أن تقوم عليها الأخلاق الحقّة لأنّه ذلك هو الحلّ الوحيد الّذي بإمكانه أن يفصل لنا بين أخلاق السّادة وأخلاق العبيد[4]. من هنا جاءت فكرة نيتشه حين جعل للعبيد أخلاق خاصّة تختلف عن ما للسّادة من أخلاق. فأخلاق السّادة حسبه هي أخلاق الأقوياء فيها يشعر الفرد بالسموّ والرّفعة، ولا تهتمّ هذه بما ينجم عنها من فعل خيّر، لكن الأهمّ هو الإحساس بالقوّة في نفس الفرد جرّاء هذا الفعل الأخلاقي الّذي لم يصدر عن خوف أو ضعف أو اكراه، بل عن احساس بالقوّة[5]. أمّا اخلاق العبيد فتتجسّد في المسيحيّة، لما تكرّسه من ضعف للإنسان وتهميش لدوره وإرادته ونفيا للحياة، وتجريده من صفات الأبطال كالقوّة الشّجاعة[6].

كان نيتشه يسخر من الضّعفاء،لِإعتقادهم أنّهم صالحون، ويعتبرون أن عدم الأمانة خيانة والقوّة ظلما، يُرجع هذا نيتشه إلى ضعفهم وعجزهم وهوانهم، ولذلك من يريد الحياة عليه أن يُطلِق العنان لرغباته ويدوس على الأخلاق والقيم المسيحيّة ويجعل أسمى فضيلة له هي القوّة. وبهذا كان نيتشه يسعى لتدمير الأخلاق القديمة القائمة على المحبّة والصّدق والتّواضع، لتحلّ

---

[1] وليم كلي رايت،مرجع سابق، ص378.

[2] صفاء عبد السّلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريديريك نيتشه، دار المعرفة الجامعيّة،(د،ب)، 1999، ص269.

[3] فريديرك نيتشه، هكذا تكلّم زرادشت،تر:محمّد النّاجي،افريقيا الشّرق،المغرب،(د.س)،ص144.

[4] أويغن فنك، فلسفة نيتشه،تر:إلياس بدوي، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م،ص193،192.

[5] فؤاد زكريّا، نيتشه، دار المعارف، ط2، مصر،(دس)، ص94.

[6] نهلة محمود عل الزّق الجمراوي، مرجع سابق، ص362.

محلّها أخلاق الإنسان الأعلى الّذي تتجسّد فيه إرادة القوّة، الإنسان الّذي لا يُؤمن إلّا بالقوّة والبطش ويدوس على كلّ القيم السّائدة، بل وهو من يصنع القيم الّتي توافق أسلوب حياته[1].

من هنا نلمس جانبا من تأثر نيتشه بفكر ميكيافلي خاصّة في مجال الأخلاق، فمثلما اِنتقد نيتشه الأخلاق المسيحيّة، فكذلك ميكيافلي كان يعتبر أن الكنيسة هي الّتي أرست أخلاق الضعف وهي السّبب فيما آلت إليه إيطاليا من تشتّت وهوان، بسبب العقائد الخاطئة الّتي كانت تنشرها المسيحيّة والّتي شوّهت الدّين خدمة لمصالحها الشّخصيّة. كذلك في تقسيم نتشه للأخلاق بين أخلاق العبيد وأخلاق السّادة، فإنّ ميكيافلي قسّم بدوره الأخلاق إلى أخلاق شخصيّة، والّتي بإمكان الحاكم أن يتحلّى بها في حياته الشّخصيّة، وأخلاق السّياسة والّتي لا بدّ أن يأخذ بها الحاكم بمجرّد دخوله من باب السّياسة والحكم ويتجرّد من أخلاقه الشّخصيّة، وأيضا نقطة اِلتقاء نيتشه وميكيافلي في القوّة، هذه الأخيرة فقد اعتبراها مبدأ مهمّا ومرجعيّة أساسيّة للأخلاق لا بدّ أن تقوم عليه. لكن رغم كلّ هذا ورغم تأثر نيتشه بأفكار ميكيافلي لكنّنا نلمس نوعا من الإختلاف، أوّلا فيما يتعلّق بنقدهما للمسيحيّة،فإنّ إدّعاء نيتشه بموت الإله دليل على أنّه لا يعترف بالله وينفي وجوده ولا يكترث لأي أساس دينيّ، لكن في المقابل ميكيافلي صحيح قد أنتقد القيم المسيحيّة لكنّه أعطى أهميّة للدّين فهو يعتبره ضروري للكيان الإجتماعي، وقد يساعد الحاكم بأن يتحكّم في الرّعيّة بواسطة الدّين وأن يسيطر على عقولهم.

إنّ نيتشه قد أطاح بقيم الفضيلة والرّحمة والإحسان، وسمح للأقوياء أن يدوسوا على الضعفاء ويقضون عليهم، بحجّة أنّ القويّ هو من يملك الحقّ في خلق القيم وفي فرض الهيبة و شقّ طريق الحياة كما يشاء بقوّته وجبروته، وحتّى إذا استدعى عليه ذلك طمس الضعفاء، بل عليه بالفعل القيام بذلك لأنّ الضعيف برأيه ليس له مكان في هذه الحياة، فنيتشه يعتبر أنّ البقاء فقط للأقوى. لكن ميكيافليخصّص هذه الاخلاق الّتي سبق وتحدّثنا عنها فقط في الحياة السّياسيّة، في ممارسة السّلطة يحقّ للأمير أن يستخدم كل الأساليب اللّأخلاقيّة من أجل الحفاظ على أمن الدّولة وتحقيق الوحدة الإيطاليّة. وبالتّالي نستنتج أنّ نيتشه كانت فلسفته الأخلاقيّة أكثر قوّة وأكثر بطشا من أخلاق ميكيافلي وكانت تعميما لجميع مجالات الحياة، على خلاف ميكيافلي فقط خصصها فقط في المجال السّياسي.

أمّا في مجال السّلطة والحكم فنيتشه يرى أنّ الأرستقراطيّة هي أفضل نظام للحكم ويجب استئصال الإشتراكيّة والديموقراطيّة، ويرجع كرهه لهذه الأخيرة لعنايتها بأوساط النّاس وعدم اكتراثها للتفوّق والإمتياز، كما يعود سبب كراهيّته للإشتراكيّة لعدّة أسباب أهمّها: أنّ النّظام الإشتراكي يحاول اصلاح ناس لا تشعر بالحاجة لذلك، كما تؤدّي لخلق انسانيّة خاملة، اضافة

[1] أحمد إدريس الطعّان، أخلاق القوّة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الإقتصاديّة والقانونيّة، المجلّد 27، العدد الثّالث،2011، ص330،329.

لأنّها تُبعد القلّة الممتازة عن المسرح السّياسي، وتسعى لتحقيق المساواة الّتي تعتبر مضادّة للطّبيعة[1].

أمّا بالنّسبة لتفضيله للحكم الأرستقراطي وبالتّحديد الأرستقراطيّة الوراثيّة، هذا لأنّها تتألّف منأجناس متفوّقة وراثيّا، وبالتّالي فهم يمثّلون طبقة النّبلاء، فهم أكثر قوّة، وأقلّ تعاطفا، وأكثر رغبة في زيادة قوّتهم[2].

فيما يخصّ نظام الحكم الأمثل نلاحظ أنّ نيتشه قد اختلف مع ميكيافلي، فهذا الأخير كان يرى في النظام الجمهوري أنسب الأنظمة في الحكم، لكن طالب بتطبيق النظام الملكي ريثما يتخلى الإنسان عن صفاته السّيئة وعن طبيعته الميالة للأنانيّة، وبعدها بإمكان النظام الجمهوري أن يفرض نفسه في السّاحة السّياسيّة، ويقدّم الحريّة لأناس سيقدّرون معناها، ويفهمون قيمتها، ويتمتّعون بها على أكمل وجه.

كما ذكرنا سابقا فنيتشه كان يقدّس القوّة وينبذ الرّحمة واللّين، وفي تقديسه للقوّة والشّجاعة، وافق توجّه ميكيافلي حول تمضهرات هاته الصّفات الأخلاقيّة لديه، فقد كان نيتشه يمجّد الحرب ويؤثرها على السّلم، لأنّ الحرب برأيه دليل على القوّة والرّجولة والنّشاط والخشونة، والسّلم يؤدّي للخمول والهدوء[3]. يقول نيتشه في كتابه" هكذا تكلّم زراديشت":«الحرب والشّجاعة خلقتا أشياء أعظم ممّا خلق الإحسان... سوف تحبّون السّلام كوسيلة لحروب جديدة، والسّلام القصير خير من السّلام الطّويل»[4] ويُضيف« إنّني لا أنصحك بالعمل، بل بالحرب، ولا أنصحك بالسّلام، بل بالنّصر، اجعل عملك حربا وسلامك نصرا»[5] وفي تأييد نيتشه للحرب نلمس جانب تأثّره بميكيافلي في قوله بضرورة الحرب لتحقيق السّلام، وبأن حالات السّلم تمهّد لشيء خطير وتخبّئ في ثناياها الفوضى فيقول ميكيافلي في كتابه "فنّ الحرب" تأييداً للحرب وتأكيده على ضرورة الإنتصار:«عندما تنتصر في معركة فإنّ هذا يُلغي كلّ أعمالك السيّئة الأخرى، وبنفس الطّريقة عند الهزيمة في معركة فإنّ كلّ الأشياء الجيّدة الّتي عملتها تضيع عبثا بلا جدوى»[6]

[1]عبد المجيد عبد التوّاب شيحة، مرجع سابق، ص316.
[2] المرجع نفسه، ص317.
[3]عبد المجيد عبد التوّاب شيحة، مرجع سابق، ص319.
[4]فريدريك نيتشه،هكذا تكلّم زرادشت، مرجع سابق، ص47.
[5]المرجع نفسه،ص47.
[6] نيقولا ميكيافلي، فنّ الحرب، مصدر سابق، ص17.

المبحث الثّاني:تأثير فكر ميكيافلي على مستوى الممارسة السّياسيّة.

تحقّقت الوحدة الألمانية عام 1870م، وأصبحت بذلك ألمانيا تلعب دورا مهمّا في السّياسة الأوروبيّة، وفي محاولتها لإقامة توسّعات إستعماريّة، أدّى إلى حدوث نزاعات قويّة مع بريطانيا وفرنسا، هاتين الأخيرتين استطاعتا أن تسيطر وتستعمر أكثر المناطق ثراءا في العالم، فكانت كل من ألمانيا وإيطاليا تريدان التوسّع لتطوير صناعتهما لكنّهما لم يوفّقا في ذلك، ممّا أدى لحدوث توتّر وعدم الإستقرار في أوروبا، كانت نهايته اندلاع حرب عالمية أولى دامت أكثر من أربع سنوات، انتهت بخسارة ألمانيا وحلفائها، إلّا أنّ هذه الخسارة كان لها اِنعكاسات سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة، وساهمت في ظهور حركات سياسيّة جماعيّة تقوم على الفلسفة العسكريّة والعنصريّة والتوسّعيّة، ومن أهمّ هذه الحركات: الحزب النّازي في ألمانيا والحزب الفاشي في إيطاليا[1].

وسنبيّن في هذا المبحث تمضهرات فكر ميكيافلي السّياسي في الحزبين الفاشي والنّازي، لنقف على أهمّ محطّات التّأثير، والمبادئ الّتي تقوم عليها كل من السّياسة الفاشيّة والنّازيّة. رغبة منّا في توضيح واقعيّة أفكار ميكيافلي أكثر من خلال الإعتماد على أهمّ الشّخصيّات الدكتاتوريّة المعاصرة الّتي اتخذت من مبدأ القوّة المرجعيّة الأساسيّة لممارساها السياسيّة.

المطلب الأوّل:حضور ميكيافلي في الممارسات الفاشيّة.

[1]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص 233،232.

يعود ظهور الفاشيّة* في إيطاليا لعدّة أسباب أهمّها[1]:

1- أنّ الشّعب الإيطالي طبيعة ثقافته لم تسمح له بتقبّل النّظام البرلماني الّذي أقامه كافور بعد تحقيقه الوحدة القوميّة لإيطاليا.
2- عدم تحصّل إيطاليا على الغنائم بنفس مستوى التّضحيّات الّتي قدّمتها في الحرب العالميّة الأولى.
3- ضعف الحياة الإقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة، وتحسّر الشّعب الإيطالي على ماضي روما القوي، بسبب ما آلت إليه إيطاليا؛ فعمّت الفوضى والإضطرابات وتعدّدت الأزمات الوزاريّة ولم يبقى من الحكم الدّستوري إلّا مظهره.

في هذا الجوّ المضطرب ظهر الجزب الفاشي على السّاحة السّياسيّة الإيطاليّة بزعامة قائد قويّ اِسمه" بنيتو موسولينيBenito Mussolini"(1883-1945م)، حيث كان يطمح لجعله حزبه أقوى وأوحد حزب في إيطاليا حتّى يسود النّظام سعيا منه للقبض على السّلطة في يوم واحد.[2]

لقد كانت الفاشيّة تمجّد النّزعة القوميّة داخليّا، وتسعى للهيمنة في السّياسة الخارجيّة.[3] يعني أنّها كانت ترسّخ الرّوح القوميّة والوطنيّة في أوساط الشّعب الإيطالي، إضافة لأنّها عملت على التوسّع الخارجي.

اِعتبرتْ الفاشيّة الدّولة كائن حيّ، لذلك فالحفاظ عليها وتنمية قواها يجب أن يكون الهدف الأوّل، وبالتّالي لا بدّ من تقديم مصالح الدّولة على مصالح الفرد؛ فغاية الدّولة تحقيق مصالح الأفراد، ولكن إذا تعارضت مصالحها مع مصالح الأفراد، على الفرد أن يضحّي بمصالحه الخاصّة في سبيل تحقيق مصالح الدّولة، وإذا لَزُم ذلك اِستخدام القوّة، وبالتّالي ففكر الفاشيّة كلّه قائم على أنّ كلّ شيء للدّولة، ولا شيء خارج عن كيان الدّولة، سعيا منها لإقامة دولة قويّة ومستقلّة[4].

أكّدت الفاشيّة على حريّة الشّعب كلّه، رافضة للحريّة الفرديّة، كما أنّها لم تقبل بكلّ القيم الإجتماعيّة الّتي تكون خارج قيم الدّولة، فالدّولة هي التي تفرض قيمها على المجتمع، وبالتّالي فقيم المجتمع من قيم الدّولة، لذلك كانت مصالح الدّولة فوق مصالح الفرد، ولو سمحت لقيم أخرى أن تأتي من مصالح أو جمعيّات أو نقابات مهنيّة أو اقتصاديّة، لغلّبت هذه المؤسّسات

*الفاشيّة: يشير هذاالمصطلح إلى الإتّحاد والعصبة، والمصطلح بمفهومه السّياسي يعني أحد أشكال الانظمة الحاكمة الدّكتاتوريّة، ويفرض سيطرته على جميع الأنشطة السّياسيّة والإقتصاديّة و الاجتماعيّة.(أنظر: محمود حيدر، الدّولة، مرجع سابق،ص158.)

[1]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص234.
[2]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص235.
[3] محمود حيدر، مرجع سابق، ص160.
[4]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص237.

مصالح أفرادها على حساب المصلحة الحقيقيّة للمجموع الشّعبي، ومن هنا نلاحظ أنّ الفاشيّة لم تسمح بإقامة أي نقابة، وحمّلت على الدّولة كلّ المسؤوليّة في توجيه القوى السّياسيّة والإقتصاديّة[1].

ومن خلال كل ماسبق نستنتج أن أهم المبادئ والأسس الّتي قامت عليها الفاشيّة والّتي استند عليها موسوليني في سياسته هي:

-الإعتماد على مبدأ القوّة:فبرأي الفاشيّة الرّوح العسكريّة أرفع من الرّوح المدنيّة،كما أنّ المنتصر أفضل من المهزوم،وأبناء الأمة أولى بالبقاء من الضّعفاء،لذلك رفضت الفاشيّة كلّ مفاهيم الدّيمقراطيّة أهمّها فكرة المساواة،فحكم الشّعب يعتبر وهم كاذب،فالحكم والسّيادة دائما للدّولة.[2]

وفي هذا المبدأ نلمس تأثّر موسوليني بفكر ميكيافيلي، فهذا الأخير طالب الأمير بأن يحكم بالحديد والنّار، وأنّ تحقيق دولة قويّة لن يكون إلّا بوجود قائد قويّ، فالإعتماد على مبدأ القوّة راجع للطّبيعة البشرّية وللوضع السّياسي والاجتماعي الّتي كانت تعيشه إيطاليا الممزّقة في زمن ميكيافلي، فنفس الأحداث قد تكرّرت بعد الحرب العالميّة الاولى، لذلك اعتمد موسوليني على نفس اِستراتيجيّة ميكيافلي ليُعيد القوّة لإيطاليا ويحقّق وحدة شعبها.

-تقديس الزّعيم أو الرّجل المنقذ[3]:فالفاشيّة عملت على السّيطرة على الأفراد ليس بواسطة العقل التّوجيهي بل بواسطة العاطفة اللّأخلاقيّة،وبناء أحداث تكون في صالح القائد،حتّى ينقاد كلّ الجماهير للزّعيم ويرون فيه كلّ آمالهم أهدافهم والمحقّق لأحلامهم وتخليصهم من كلّ المشاكل،فلا بدّ أن يروه في صورة الإنسان المعصوم من الخطأ،لذلك كانت صور موسوليني معلّقة على كلّ الجدران مع ذكر عبارة أنه على حقّ[4].

نفس الفكرة نجدها عند مكيافلي من خلال النّصائح الّتي قدّمها للأمير، فقد كان ميكيافلي يدعو الأمير دائما بأن يبدوا بمظهر جيّد وأن يحسّن صورته أمام شعبه حتّى يكسب ولائهم وحبّهم وبالتّالي يفعل ما يراه مناسبا لأمن الدّولة دون اعتراض من رعاياه، لذلك عليه أن يكون دائما هو من يُنجر الاعمال العظيمة أمام مرأى الشّعب، كما يحقّ له أن يخلق أعداء ويتخلّص منهم بنفسه، حتّى يكون في صورة الحاكم الّذي يفضّل مصالح رعاياه على مصالحه، وبالتّالي يجد نفسه رقم واحد في قائمة الشّعب ومهما حدث لن يتخلّو عنه وسيقفون معه في كلّ قراراته.

---

[1]عدنان السيّد حسين، تطوّر الفكر السّياسي، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2،بيروت، 2009،ص159،158.
[2]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص237.
[3]عدنان السيّد حسين،مرجع سابق، ص160.
[4]مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص237.

-عدم قناعتها بمبدأ المساواة: لذلك حاولت أن تعيد مجد الإمبراطوريّة الرومانيّة لإيطاليا، وفي تحقيقها لهذه الغاية لم تحترم أي قانون يحدّ من رفعتها وينقص من قدرها، فقد اعتبرت أن القوّة فوق كلّ قانون[1].

إنّ كلّ من فكر ميكيافلي السّياسي والممارسة السّياسيّة لموسوليني تنصبُّ على نفس الغاية، وهي اِرجاع مجد وعزّة إيطاليا وتحقيق الأمن والإستقرار، فمثلما اِعتبر موسوليني أنّه لا وجود قانون يعلو القوّة، فكذلك سبقه ميكيافلي عندما شرّع للحاكم كلّ الأساليب والوسائل الّتي تحقق له غاية الدّولة، سواء كانت أخلاقيّة أو غير أخلاقيّة تتوافق مع التّعاليم الدينيّة أو تتنافى عنها،فلا يهمّ الوسيلة بقدر ما يهمّ الغاية، فالغاية تبرّر الوسيلة.

*كما اعتبرت الفاشّية أن العنف وسيلة طبيعيّة من وسائل العمل السّياسي،ومجّدت قيم الحرب والكفاح في سبيل تحقيق دولة قويّة موّحدة داخليّا ومتّسعة في نفوذها خارجيّا، لذلك فالدّولة لا بدّ أن تخدم نفسها وتغض الطّرف على مصالح باقي الدّولة، ولو استدعاها ذلك شنّ الحروب لأنه حق شرعي[2].

ولعلّ أهّم سبب يحيلنا إلى أنّ موسوليني قد تأثر بأفكار ميكيافلي هو أنّ موسوليني قد اِختاره موضوعا للدوكتورا الخاصّة به،فيذكر موسوليني أنّ كان متردّدا في اختيار الموضوع، لكن مقولة نقِشَت في سيف أهديَ له حسمت أمره وحدّدت اِختياره، وهي« ليست المحافظة على الدّول بالكلام»[3] وهذا أكبر دليل على تقاطع سياسة موسوليني القائد المهاب والقوي بأفكار ميكيافلي الّذي رسم معالم الممارسة السّياسيّة كما يقتضيها الواقع وكما تقتضيها الطّبيعة البشريّة.

---

[1] المرجع نفسه،ص237.

[2]عدنان السيّد حسين، مرجع سابق، ص160.

[3] نيقولا ميكيافلي،الأمير،(تراث الفكر السّياسي قبل الأمير وبعده)،تر:خيري حمّاد، مصدر سابق، ص5.

المطلب الثّاني:حضور ميكيافلي في الممارسات النّازيّة.

تشابهت ظروف نشأة النّازيّة*مع ظروف نشأة الحزب الفاشي، فبعد ما لحق بألمانيا من هزائم وضعف في جوانب الحياة الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة، ظهر زعيم النّازيّة البطل الفذّ الّذي أصبح مثالا ورمزا للقوّة والبطش والجبروت"أدولف هتلرAdolf Hitler"1889-1945، فكيف لهذا الرجل أن يصبح أسطورة تعبّر عن القوّة؟ وكيف تسنّت له الظّروف أن يرفع من مكانة ألمانيا بعد أن كانت محطّمة بالكامل؟ وما هي المرجعيّة الفكريّة الّتي دعّم بها هتلر قاعدته في السّياسة؟ وما هي الإستراتيجيّة الّتي مكنّته من أن يحقّق غرضه السّياسي؟

مع ماهو معروف عن هتلر، وبعد تحليلنا لفكر ميكيافلي السّياسي وقواعد بناء الدّولة القوّية، وطرق توحيد إيطاليا وتخليصها من قبضة الدّول الخارجيّة، وجدنا أنّ هناك تقاطع بين نظريّة ميكيافليوبين الممارسة النّازيّة لهتلر، وبعد تتبّع تاريخ إيطاليا زمن ميكيافلي وتاريخ ألمانيا زمن ظهور هتلر، رأينا أنّ كلاهما كان يعيشا ظروفا سياسيّة صعبة وبنى اجتماعيّة منهارة،لهذا السّبب تمّ اِخيار الحركة النّازيّة كمثال عن أثر ميكيافلي في الممارسة السّياسيّة الواقعيّة. لذا سنسلّط الضّوء عن بعض جوانب سياسة هتلر لنكشف قواعد لعبته ومدى اقترابها من تنظير ميكيافلي.

إنّ مُؤلَّف هتلر المسمّى ب" كفاحي" يعتبر المرجعيّة الأساسيّة لمرتكزات سياسته، ووضّح فيه استراتيجيّته السّياسيّة، والحروب الّتي خاضها في سبيل ألمانيا قويّة.

تعدّ المظاهر البارزة في الحزب النّازي من اكتسابها للطّابع العسكري، وفكرة وحدة الشّعب الألماني كلّه ومبدأ الجنس السّامي... كتب عنها هتلر قائلا:«إنّ بعث الشّعب الألماني لا يتمّ إلاّ عن طريق استعادته لقوّته الخارجيّة، ولكن ليست الأسلحة هي الوسائل الّتي تحقّق هذا... بل وسيلة هذا هي قوّة الإرادة، إنّ أحسن الأسلحة تكون معدومة القيمة الماديّة ما بقيت تنقصنا الرّغبة والإرادة لاستعمال هذه الأسلحة...»[1]

نلمس من خلال هذا القول لهتلر تتابع أفكاره بأفكار نيتشه، هذا الأخير جاء بفكرة إرادة القوّة كما سبقنا وأشرنا إليها، فمفهوم إرادة القوة عند نيتشه قريب إلى تصوّر هتلر لقوّة الإرادة، فلا بدّ أن تكون السّيطرة والسّلطة نابعة من إرادة وهذه الإرادة تتحكّم فيها القوّة، ورغم تاكيد كلّ

*النّازيّة: شكل من أشكال الحكومات الّتي يترأسها دكتاتور، وهي تنمّ عن سيطرة تامّة على النّشاطات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والدينيّة، فهي بخلاف الشّيوعيّة الّتي تملك فيها الحكومة كلّ الصّناعات، فالنّازيّة تتيح للصناعة أن تُبقي الملكيّة خاصّة، ولكنّها تحت سيطرة الحكومة. (أنظّر: فراس البيطار، موسوعة السّياسيّة العسكريّة، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن، عمّان، 2013م، ص146.

[1]إدوارد ميد ايرل وآخرون، روّاد الإستراتيجيّة الحديثة: الفكر العسكري من ميكيافلي إلى هتلر، تر:محمّد عبد الفتّاح إبراهيم، مؤسّسة فرانكلين للطّباعة والنّشر،(د.س)، ص330.

من هتلر ونيتشه على ضرورة مبدأ القوّة وعلى أهميّة الحرب على حالات السّلم، لا بدّ أن تكون مقترنةً برجل قوّي يسعى لتحقيق غاية الدّولة، وقد سبقهما ميكيافلي ويعتبر مرجعيّتهما في هذه الفكرة، إذ أنّ ميكيافلي كان يدعو الحاكم بأن تتوفّر فيه صفة القوّة ليتمكّن من السّيطرة على الشّعب والأخذ بزمام الحكم.

«إنّ الدّولة برأي النّازيّة ليست غاية بحدّ ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق رفعة الشّأن القومي للأمّة،فعلى الدّولة أن تحافظ على نقاوة الإنتماء العرقي من جهة، والعمل على الحصول على المساحات الأرضيّة الضّروريّة وحكم الجنس الآري»[1]

ويدعّم هتلر ذلك من خلال كتابه" كفاحي" فيقول:«الدّولة هي الواسطة لبلوغ الغاية، والغاية هي الحفاظ على جماعة من النّاس ينتمون روحيّا وماديّا إلى عنصر واحد... أن تُعنى بالمحافظة على مميّزات العرق لأنّ بقاء هذه المميّزات ضروري لتنمية المواهب الكامنة في هذا العرق»[2] ومن هنا فهتلر يعتبر أنّ قيمة الدّولة بمقدار النّفع الّذي تعود به على شعبها، أي أنّ الدّولة سُخّرت لأجل الشّعب، حتى يرفع من قيمة الجنس الآري وهذه الغاية القصوى الّتي يسعى لها هتلر.

وبالتّاليففكرة **العرق** أهم شيء في مفهوم هتلر، فالفرد لا بدّ أن لا تكون له أيّ مشاغل أخرى غير مصلحة أبناء عرقه، ويُرجع هتلر سبب اِخفاق ألمانيا في الحرب العالميّة الأولى، هو أنّ الشّعب لم يستوعب أهميّة قضيّة اِنتمائه العنصري ودوره في تقدّم البشريّة، وبرأيه البشريّة لن تتقدّم إلّا بفضل نشاط عرق واحد وهو العرق الآري أسمى الأجناس، وحتّى تكون الأمّة الألمانيّة قويّة، لا بدّ من أن تتعلّم كيف تُحافظ على نقاوة عرقها من أجل التّجانس القومي[3]. ويتحقّق ذلك عن طريق إبعاد غير الآريّين عن وظائف الدّولة، ومنع الزّواج المختلط معهم[4].

وفي مقابل تشييد هتلر بتفوّق الجنس الآري، فقد كان يكنّ الكره الشّديد للجنس اليهودي، واعتبر أنّ أوّل عمل لا بدّ من القيام به لتمتين التّماسك القومي هو القضاء على الجنس اليهودي.[5]ومن هنا نستنتج أنّ هتلر كان أكثر عنصريّة، لإيمانه بالتّفوّق العرقي الألماني من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون توجّه نفس توجّه كل من ميكيافلي ونيتشه في رأيتهم للدّين بأنّه حاجزا أمام الدّولة القويّة.

وبعد اِعطاء هتلر أهميّة لفكرة العرق،ارتكز فكره النآزي على مقوّم آخر وهو **الدّعاية**،يقول هتلر في كتابه "كفاحي":« كانت الدّعاية على جانب عظيم من الاهميّة فهي أداة لتنوير الأذهان

---

[1]مهدي محفوظ، مرجع سابق،240 .
[2] أودولف هتلر، كفاحي، منشورت المكتبة الأهليّة، بيروت،(د.س)، ص176.
[3]أودولف هتلر، مرجع سابق، ص240.
[4]عدنان السيّد حسين، مرجع سابق،ص161.
[5]مهدي محفوظ، المرجع السّابق،ص240.

من جهة، ولخداع من يُراد خداعهم من جهة ثانية»[1] ويقول أيضا:«إنّ الدّعايات تهدف إلى لفت نظر الجمهور إلى وقائع وأحداث، لا على تنوير الشّعب على أساس علمي، لذلك وجب التوجّه إلى قلوب الشّعب لا عقله»[2]

فبعد تأثّر هتلر بأساليب الدّعاية الفاشيّة، جعل منها هو الآخر أسلوبا مهمّا في حركة مذهبه النّازي فبفضلها اِستطاعت النّازية أن تستقطب جماهير الشّعب الألماني إلى تبنّي أفكارها ومعتقداتها، ومن هنا اِعتبرت النّازيّة الدّعاية وسيلة للوصول للهدف، ويتمثّل أسلوب اِعتمادها كما يعتقد هتلر، فلا بدّ من تكرار الأفكار البسيطة بدون كلل أو ملل، وأن تتناول موضوعات سهلة وتثير اِهتمام الرّأي العام لأنّها تتوجّه لعامّة الشّعب، كما أنّه لا ينبغي للدّعاية أن تعتمد على الموضوعيّة فالموضوعيّة تشكّل علامات ضعف، فلا بدّ أن ترتكز على القوّة والإرادة لأنّ النّاس يمجّدون اِنتصارات الأقوياء، ويحتقرون هزائم الضّعفاء[3].

فمثل ما ذكرنا في الحزب الفاشي وتأكيد موسوليني للدّعاية وأهمّيته لتحقيق الغرض السّياسي، نلمس هذه الأهمية متواجدة عند هتلر باِعتبارها وسيلة مساعدة تسهّل على التّلاعب بعقول النّاس أو لنقل بمشاعر النّاس، لأنّ الغالبيّة من الشّعب يسهل التّلاعب بهم مثلما ذكر لنا ميكيافلي في ذكره لخصائص الطبيعة البشريّة للشّعب، فقال انّه يسهل التلاعب بهم لأنهم يحكمون فقط فيما يرونه لذلك وجب على الحاكم أن تكون تصرّفاته مرآة عاكسة لما يحبّ الشّعب أن يرونه فيه، حتّى لو لم يكن يتّصف بتلك الصّفات، فالمهم أن يبدو في هيأة الإنسان النّبيل والحسن الّذي يراعي مصلحة شعبه وبلاده، ويكون ذلك عن طريق الدّعاية و نشر إشاعات لأعمال قام بها وأن يموّل مشاريع وهميّة فقط من أجل تحقيق صورة مثاليّة في عقول رعاياه، وأن يحتل مكانا كبيرا في قلوبهم أيضا.

---

[1] أودولف هتلر، مرجع سابق، ص62.
[2] المرجع نفسه، ص63.
[3] مهدي محفوظ، مرجع سابق، ص242.

خاتـمة:

"الغاية تبررّ الوسيلة"، "لا علاقة بين الأخلاق والسّياسة"، "لا يفتر الأمير أبدا للأسباب لكي لا يفي بوعوده"، هذه المقولات وغيرها والّتي خرجت من عقل رجل اِعتبره كثيرون شيطانا، ويراه آخرون عبقريّا، فقد تعرّض ميكيافلي للنّقد مثل أيّ فيلسوف يقدّم نظريّة تعبّر عن أفكاره ومعتقداته، فبعد تتبّعنا لتاريخ ميكيافلي للوقوف على ظروف عصره والبيئة الّتي نشأ فيها، لأن هذا الفيلسوف تعتبر أفكاره وليدة بيئته وقد ولدت من رحم الظّروف القاسية الّتي عاشتها إيطاليا عامّة، وفلورنسا خاصّة، وبعد ما سلّطنا الضّوء على أفكاره السّياسيّة وعلى نظرّيته المفسّرة لنشأة الدولة وسبُل قيامها، وكذلك اِمتدادات فكره فيما يتعلّق بالجانب النّظري وأهمّ الفلاسفة الّذين لمسنا أنّ تصوراتهم الفلسفية قريبة إلى حدّ ما لما جاء به ميكيافلي خاصّة فيما يتعلّق بأهم مبدئ تقوم عليه سياسته وهو مبدأ القوّة، إضافة لمفهومه البراغماتي لكلّ من الأخلاق والدّين.

وكذلك فلم نكتفي بالوقوف على من تأثر بميكيافلي نظريّا فقط، بل توجّهنا للواقع لنرى بُعد فكر ميكيافلي في الممارسة السياسية، لأنّه كان رجل سياسة أكثر من كونه فيلسوف، فما دام قد مارس السّلطة وقد اِحتكّ بالحكّام والملوك، وأيضا أفكاره ونصائحه الّتي وضعها في كتابه الأمير كانت بمثابة دستور للحكّام، فهذا بدون شك سيجد لفلسفته صدى في الواقع، فميكيافلي أستقرأ وشاهد الواقع الإيطالي سواء السّياسي أو الاجتماعي لكي يبني لنا فكرا يتلائم معه ويكون دّواء للدّاء الّذي نخر عظام إيطاليا ولم ينجم عنه إلاّ الألم والأنين. بعد كلّ هذا التّحليل الّذي قدّمناه فيما سبق وجب علينا أن نقف وقفة تقييم لهذا المفكّر الّذي بالرّغم أنّه مات ودُفنت معه أحلامه المتمثّلة في توحيد إيطاليا، لكن أفكاره لازالت حيّة وبين مدّ وجزر، وليس فقط أفكاره بل حتى شخص ميكيافلي في حدّ ذاته أثار الكثير من الجدل، ووجّهت له الإتهامات من قبل الكثير من المفكرّين إن لم نقل الحكّام خاصّة منهم الطغاة محاولين تشويه صورته وسمعته، وتسميته بشيطان السّياسة، ليس هذا فقط بل وأنّ اِسمه أصبح صفة يُطلق بها على كلّ إنسان يمتاز بالغدر والخُبث والمكر يقال له"ميكيافلي". ما الذّنب الّذي اقترفه ميكيافلي لينال كلّ هذا القدر من السّخرية والإستهزاء؟

لا بدّ أن الجريمة الوحيدة الّتي اِقترفها ميكيافلي ليجعل نفسه موضع نقد وسخريّة وتهجّم، أنّه كان صريحا فيما حلّل دون خوف أو خشيّة، لذلك كان كتابه الأمير صدمة لكلّ الإنتهازيّين والمنافقين، فيمكيافلي لم يقم إلاّ بتعريةِ وفضح الّذين يرفعون الشّعارات البرّاقة الّتي تتغنّى بالغايات الإنسانيّة العظيمة كمجرّد قناع أو غطاء لإخفاء وسائلهم الدّنيئة، كما أنّه ألقى بأضوائه

الفاحصة على دهاليز السّياسة ليكشف كهوفها المعتمة، فهدفه كان خلق وعي سياسي وإِنساني بحقائق الحياة، فما فعله ميكيافلي لا يستدعي كلّ الإهانات الّتي وُجّهت له[1].

وعلى الرّغم من كلّ المحاولات من قبل خصومه وحسّاده لتشويه صورته، فقد ظلّ نجم ميكيافلي ساطعا في سماء إيطاليا، وفكره راسخا في معظم الدّراسات السّياسيّة والحضاريّة على مستوى العالم أجمع، فرغم مرور خمسة قرون على رحيل ميكيافلي، إلّا أنّ نظريّاته والقوانين الّتي بلورها في كتاباته لا تزال تُؤثّر في الإستراتيجيّات السّياسيّة الّتي يتبّعها معظم قادة العالم، لذلك سنحاول توضيح الجانب المضيء من فكر ميكيافلي، لردّ الاعتبار له، مستندين في ذلك على من أثنَوْ عليه وعلى إِنجازاته وعلى من وصفوه بالعبقري.

إنّ أوّل ما يلاحظه الدّارس لفكر ميكيافلي هو نزعته الواقعيّة، فقد أحدث قطيعة مع الفلسفات السّابقة، وغيّر من أسلوب البحث من المثاليات المجرّدة، إلى الواقعي الملموس، فانطلاقة ميكيافلي لم تنشأ من فراغ أو من تأثّره بفكر سابق له، بل من تأملاته للواقع، من تقييمه للواقع المعاش فعليّا، ومن تأسّفه للحالة السّياسي ولتشتّت إيطاليا، بعد أن كانت إمبروطوريّة روما رمزا للمجد وللعزّة، أصبحت لقمة صائغة في أفواه الدّول الخارجيّة، وفريسة سهلة لأطماع فرنسا وغيرها، فميكيافلي حمل على عاتقه مسؤولية إِخراج ايطاليا من هذا المأزق بدافع الغيرة على وطنه، وهذا ما جعله يصوّر المشهد السّياسي كما هو ليصمّم بذلك ثيابا محاكة بدقّة بمقاس يناسب بناء دولة قويّة غير ممزّقة، ويلائم أيضا طبيعة الشّعب الخاضع للسّلطة المطلقة الّتي تحكم بواسطة أمير قوّي. وفي هذا نجد الفيلسوف والعالم ورجل الدّولة "فرنسيس بيكونFrancis Bacon"1561-1626م، أهمّ الفلاسفة الّذين درسوا مؤلّفات ميكيافلي بتمعّن، متأثّر بطريقته الإستقرائيّة، ليكون بيكون أوّل من أدرك أنّ ميكيافلي قد تناول الأشخاص كما هم في الواقع، لا كما يجب أن يكونوا في الخيال، فكتب في هذا الصّدد:«يجب علينا أن نكون شاكرين لميكيافلي ومن هم على شاكلته من الكتّاب الّذين رسموا بصراحة ودون تصنّع ما يفعله النّاس وليس ما ينبغي أن يفعلوه»[2]

وفي نفس السّياق، وفيما يتعلّق بمفهوم ميكيافلي للتّاريخ وعلاقته بالتّقليد، لقد قام ميكيافلي بكلّ شيء، وغيّر الرّؤية الإنسانيّة الكلاسيكيّة لروما "المجتمع الصّالح"، وحتّى أنّ كلود ليفورت(1924-2010م) الفيلسوف الفرنسي يشهد لمكيافلي بأنّه مخترع الواقعيّة السّياسيّة، والأهمّ من ذلك بلا شكّ، إِنعكاس كامل للأنطلوجيا القديمة الكامنة وراء التّفكير السّياسي ما قبل الحديث، وكشف المفكّر في حدّ ذاته عن المبدع السّياسي، والمبدع للعلوم السّياسيّة، فميكيافلي

[1] نبيل راغب، أسرار المطبق السّياسي، مرجع سابق، ص22،20،9.
[2] كمال مظهر أحمد، ميكيافلي والميكيافليّة،مرجع سابق، ص103،102.

سيكون المفكّر الّذي ترك وراءه، بعد الدّين والأخلاق و"سياسة الملائكة"، نهاية الفكر السّياسي لجميع أسلافه[1].

أمّا بخصوص نظرة ميكيافلي لعلاقة السّياسة بالأخلاق، فقد لقي هجوما لاذعا في ذلك خاصّة فيما جاء في كتابه الأمير لما يحتويه من أخلاقيّات السّياسة والنّصائح المقدّمة للأمير الجيّد الّذي يسعى للإمساك بزمام الحكم، فقد أجمع الكثيرون ممن يكنّون البغض لميكيافلي، بأنّ هذا المؤلَّف يحتوي على أخلاقيّات شريرة، ولا يصلح إلّا للطّغاة والحكّام المستبدّين، وبرأيهم ميكيافلي عمِد على إنارة بصيرة المستبّدين ليزيدوا من جبروتهم على النّاس الضعفاء، لكن لماذا لا نفهم مقصد ميكيافلي من زاوية أخرى؟ فبما أنّ أسلوب ميكيافلي في الكتابة كان مباشرا خاليا من التعقيدات، فيعني ذلك أنّه لم يوجّه لفئة معيّنة من النّاس أو للنّبلاء والمرموقين فقط، بل أسلوبه هذا المبسّط دليل على توجيهه أيضا للعوام من النّاس حتى يدركوا كيف يُحكمون، بكشفه لهم ألاعيب السّياسة وخطط الحكّام للظّفر بهم، وكلّ من يوجّه سهام النّقد لهذا الكتاب نعدّه خائفا من كشف ألاعيبه للعيان، ففعلا بعد إطّلاعنا لما قدّمه ميكيافلي للبشريّة وخاصّة نظرته للطّبيعة البشريّة تيقنّا أنّ النّاس يفرحون لسماع الأكاذيب وينزعجون لسماع الحقيقة. وعلى ذكر كتاب الأمير لميكيافلي نجد أنّ "جان جاك روسوJean-Jacques Rousseau" (1712-1778م) قدّم تقييما عميقا ليمكيافلي وقد ذكر ذلك في كتابه"العقد الاجتماعي"حين قال:«كان ميكيافلي يتظاهر بإعطاء دروس للملوك بينما كان يُعطي دروسا عظيمة للشّعوب، إنّ كتاب الأمير كتاب للجمهوريّين وما اختاره بطله المكروه يدلّ بوضوح على نيّة الكاتب الخفيّة، ثمّ إنّ منع بلاط روما لنشر كتابه له دلالته، فإنّ المؤلّف يصف البلاط دون لُبسٍ»[2] يدلّ هذا على أنّ روسو يشهد على صدق وواقعيّة ميكيافلي وعلى نواياه الصّادقة الغير خبيثة، ويعتبره معلّم عظيم للبشريّة جمعاء، وأنّ كتابه الأمير يعتبر مرآة عاكسة لما حدث زمن ميكيافلي، فما فعله هذا الأخير مجرّد نقل للوقائع ورسم للأحداث كما هي.

وما يُحسب على ميكيافلي أيضا، فيما شهِدناه في جلّ مؤلّفاته، هو طريقة كتابته الممنهجة والمضبوطة والدّقيقة، فبما أنّ ميكيافلي كان معجبا بتاريخ روما، فذلك لم يأتي إلّا بعد هضمه للتّاريخ وتتبّعه لأدقّ التّفاصيل ليبني من أهمّ عبر ودروس الماضي فكرا وتصوّرا سياسيّا، فكان بذلك فكر ميكيافلي بمثابة مولود جديد نتيجة تزاوج بين أحداث الماضي من حُكم الملوك واخفاقاتهم إضافة لأسباب رِفعة روما وازدهارها وبين الواقع السّياسي المهدّم والمشتّت الّذي كان يتأمّله ميكيافلي ويبحث عن حلول للقضاء عليه.

[1] Anne Gleonec, Merleau-Ponty Entre Machiavel et Marx :Vert Une Nouvelle Analogie Du Corps Poliyiaue , Horizon 4(1)2015 : I.Resarch :70-96.

[2] كمال مظهر أحمد، مرجع سابق، ص107.

فالمفكّر ومؤلّف الموسوعات الفرنسي الشّهير"دنيس ديدروDenis Diderot"(1713-1783م)أثنى على ميكيافلي ككاتب منهجي في كتابيه"الأمير"و"فنّ الحرب"وككاتب موسوعي في كتابيه"المطارحات"و"تاريخ فلورنسا"، فبرأيه كلّ هذا الإنجاز الفكري لم يكن ليأتي لولا الثّقافة الموسوعيّة الكبيرة الّتي ساعدته على التّحليل والتقنين[1]. وبالفعل فكلّ فكرة أو تصوّر يقدّمه ميكيافلي إلّا ويقدّم معه إستشهادا من التّاريخ الماضي وكأنّه تدعيم أو توثيق لكلامه،ليس فقط من أجل أن يبرّر نظريّته عندما تلقى النّقد ولكن هدفه أسمى من أن يُرضي الحكّام أو يتودّد لعائلة مديتشي،هدفه وطني قومي، كان يسعى إلى تحقيق وحدة إيطاليا بعدما مزّقتها الحروب وتهافتت عليها الوحوش المجاورة طامعة فيها، ميكيافلي كان مثالا لرجل يُحذى به يمتلك ضميرا قوميا يسعى لأمن وطنه وبلاده في وقت كان الحكّام يسعون وراء شهواتهم وملذّاتهم.

كما أنّ الفيلسوف الألماني العظيم"فردريك هيغلFriedrich Hegel" (1770-1831م) وصف ميكيافلي بالعبقريّة، «فعندما قال هيغل أنّ فهم العالم سهل وميسور عندها نُدرك أنّ العقلي يكمن في بواطن الأشياء مهما يكن من اختلاف مظهرها الخارجي، وأنّ الطّبيعة كلّها عبارة عن مُصالحة بين الأضداد»[2] نقف هنا عند نقطة إلتقاء ميكيافلي وهيغل، فنحن نعرف أنّ هيغل لديه فكرة المثّلث الديالكتي، فمن اِتّحاد القضيّتين قد ينتج جدل بينهما نصل إلى التّركيب بمعنى أنّ النّتيجة متضمّنة فيهما ولم تخرج عن إطارهما فلو نتمعّن في تصوّر ميكيافلي نجده قد جعل من قضيّتين متضادتّين قانونا يحكم طبيعة السّلطة وبناء الدّولة، فمن تتبّعه للتّاريخ وملاحظته للواقع توصّل إلى قانون مطلق تسيّر بمقتضاه الدّول.

وقد توالت الكتابات والدّراسات الّتي وضعت ميكيافلي في المكانة المرموقة اللّائقة به، كمفكّر وكمنّظر ورجل سياسة بصفته مشاركا وممارسا لها، وخبيرا بطبيعة النّفس البشريّة، وكاشفا لخبايا السّلطة، ومنقّبا عن ألاعيب السّاسة، فلم يسعنا إلّا ذكر بعض من هذه الكتابات وبعض من شهادات المفكّرين العظام. ومهما عدّدنا من انجازات فيلسوفنا ومهما أثنينا على براعته فلن نوفيه حقّه، لأنّه فعلا قد أنقل الفكر السّياسي الأوروبي من الظّلمات إلى النّور، من سيطرة الكنيسة إلى حريّة الفكر وكسر قيود السّلطة الدينيّة الّتي كانت تكبح من جِماح العقل.

شيء آخر نودّ أن نشير إليه وهو أكثر جانب نُقد فيه ميكيافلي، مسألة "الغاية تبرّر الوسيلة" نُعت باللّأخلاقي من وراء هذه المقولة، أصبح يُنظر إليه أنّه شيطان السّياسة، مُنعت كُتبه من النّشر وأُحرقت، وكتابه الأمير أطلقت عنه كنيسة روما بأنه من الكتب المحرّمة. لماذا كل هذا؟ هل فقط لأنّه كشف لعبة السّياسة؟ أم لأنّه كان صريحا ولم يغلّف كلامه بعبارات رنّانة مخاطبا للعقول لا المشاعر؟ صحيح ولا نُنكر أنّ ميكيافلي أخضع الأخلاق والدّين للدولة، ألغى كلّ الإعتبارات الأخلاقيّة والدّينيّة، سمح للحكّام بممارسة سلطة قهريّة، أَحلّ لهم الكذب والخداع

[1] نبيل راغب، مرجع سابق، ص79.

[2] المرجع نفسه، ص80.

والمكر وعدم الوفاء بالعهود إلى غير ذلك من الصّفات الّتي تتنافى مع القيم الأخلاقيّة المسيحّية، لكن وراء كلّ هذا فلا بدّ أن نُدرك أنّ ميكيافلي كانت غايته أعظم من أن يهتمّ لطبيعة الوسائل، فمظهر إيطاليا الممزّق لم يروق لميكيافلي على عكس الكثيرين الّذين كانوا يشاهدون إيطاليا تنهار ولم يحرّكوا ساكنا، بدافع الرّوح الوطنيّة القوميّة، بالإعتماد على مبدأ الطّبيعة البشرّية الأنانيّة، ولغاية خلق دولة قويّة تسيطر على زمام الحكم بنفسها، وتتصدّى لمطامع الدّول الخارجية، ولإرجاع مجد روما وعظمتها، قرّر ميكيافلي أن يضحّي بكلّ شيء في سبيل تحقيق غايته. فالأسباب أبدا لن تقف حاجزا أمام الغايات النّبيلة. ففكرة الغاية تبرّر الوسيلة تحيلنا إلى ما فعله سيّدنا يوسف"عليه السّلام" ليأتي بأبيه وكلّ عائلته لمصر وتتحقّق بذلك الرّؤية.يقول الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم:«فلمّا جهّزهم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقايةَ في رَحْلِ أَخيهِ ثمّ أذِنَ مُؤَذِّنٌ أيّتها العير إنّكم لسارقون»[1]الشّاهد من هذه الآية أنّ سيدّنا يوسف عليه السّلام قد استخدم أسلوبا يتّضح للعيان أنّه مخادع لإخوته بأن وضع السّقاية في متاع أخيه حتّى يتّضح أنّه سارق، وذلك بهدف أن يُلمّ شمله مع أبيه. فهنا الوسيلة لم تكن أخلاقيّة ومع ذلك استخدمها سيّدنا يوسف حتى يحقق غايته.

ومن خلال تحليلنا ودراستنا للفيلسوف نيقولا ميكيافلي، وبعد التّقييم الّذي سبق، وبعض الرّدود الموجّهة لنقّاد ميكيافلي، رغبة منّا لردّ الإعتبار له، توصّلنا إلى أنّ ظروف العصر الّتي نشّأ فيها وتطوّرات البنية الّتي أحاطت به جعلته يتبنّى مبدئاً واقعيّا في تحليل الأوضاع الإجتماعيّة وخاصّة منها السّياسيّة. وعدّ بذلك مؤسّسا لعلم السّياسة الحديث الّذي أثرى بأفكاره الابداعيّة سياسة القادة. وأصبحت نظريّته لا سيما نصائحه للأمير بمثابة دستور للحكّام والملوك.

وقد أقرّ ميكيافيلي بأنّ نموّ المجتمع يتطور بأسباب طبيعية، فالقوى المُحرّكة للتاريخ هي المصلحة المادية والسلطة. فبعد ملاحظته لصراع المصالح بين جماهير الشعب و الطبقات الحاكمة، طالب ميكيافيلي بخلق دولة وطنية خالية من الصراعات الإقطاعية القاتلة، وقادرة على قمع الإضطرابات الشعبية.

وأهمّ عُصارة فكره وضعها في كتابه" **الأمير"** والّذي يعبّر عن خبرته الطويلة في العمل السياسي، يريد من خلاله التّعبير عن رغبته في وجود قائد عظيم تتوحد تحت رايته كل إيطاليا الممزّقة في حينها إلى كيانات هزيلة متصارعة، لذلك أراد ميكيافلي أن يرسم طريقاً واضحاً آملا في الوصول إلى دولة قائمة على الإستمرار والتّنظيم.

---

[1] سورة يوسف،الآية70.

فالأفكار السّياسيّة الّتي أتى بها ميكيافلي مرتبطة بشكل كبير بالحكم والنّاس، لذلك كانت أفكاره تمثّل أساليب عمل وحكم للأنظمة الحاكمة. فقد قدّم ميكيافلي بحثه من خلال تحليله للواقع السّياسي الّذي عاشته إيطاليا، ومن خلال دراسته للطّبيعة البشريّة، وتتبّعه لتاريخ الحكّام السابقين، وتاريخ روما، ساعيا للبحث عن النّظام الأمثل الّذي سيحقّق هدفه في توحيد إيطاليا، لذلك كانت سياسته واقعيّة بعيدة عن المثاليّات، إلى أن توصّل إلى أنّ أنسب نظام للحكم هو النّظام الجمهوري وهذا يعود لإعجابه بجمهوريّة روما العظيمة، لكن رغم إعجابه بهذا النّظام إلّا أنّه اتّخذ من النّظام الملكي المطلق حلّا يُخرج إيطاليا من أزمتها السّياسيّة، ويعود اختياره لهذا الحكم الذي يُستند لحاكم قوّي إلى طبيعة البشر الأنانيّة والنّاكرة للجميل، ولكن بعد أن يسيطر الحاكم على هذه الطّبيعة ويستطيع النّاس أن يتخلّوا عن صفاتهم السيّئة، بالإمكان أن يتحوّل الحكم من الملكي إلى الجمهوري.

كما توصّل ميكيافلي إلى قواعد لحكم الدّولة إذ لا بد من فصلها عن الأخلاق والدّين. فعلى الأمير أن يتجرّد من أخلاقه الشّخصيّة ويلتزم بأخلاق السّياسة. وأيضا أن يلغي كل الاعتبارات الدينيّة إلاّ ما يخدم هدفه وغايته في الدّولة. ودعى ميكيافلي إلى ضرورة الإعتماد على مبدأ القوّة في الحياة السّياسيّة وإقامة نظاما عسكريّا تبعا للطّبيعة الأنانيّة للبشر والّتي تغلب عليها الرغبات والشهوات.

وقد قسّم ميكيافلي في كتابه الأمير الممالك أو الحكومات إلى ممالك قديمة التّأسيس (بالوراثة) أو حديثة التّأسيس، والممالك الدّينية، وبيّن كيف يتمّ السّيطرة على كل واحدة، وما هي طرق الحفاظ عليها. كما أكد على أهميّة بناء جيش وطني وعدم الإعتماد على جيوش المرتزقة لأن ولائهم للمال وليس للحاكم.

ورغم الإنتقادات الموجّهة لميكيافلي خاصة حول فصله بين الأخلاق والسياسة، ورغم مرور عدة قرون على فكره السّياسي إلّا أنه لقي صدى في السّاحة السّياسيّة المعاصرة وهذا ما لمسناه من خلال ما حدث في الحروب الفاشية في إيطاليا و النّازيّة في ألمانيا واللّتان إعتمدتا على مبدأ القوة، ولقد اختار موسوليني كتاب الأمير موضوعا لأطروحته الّتي قدّمها للدوكتوراه، وكان هتلر يقرأ الأمير قبل أن ينام كلّ ليلة.

ويمكننا ذكر أهمّ الإستنتاجات المتوصّل إليها من خلال بحثنا:

- الظّروف الاجتماعية والدينيّة وخاصّة السّياسيّة الّتي كانت سائدة في إيطاليا، هي الممهّدت لطرّيق ميكيافلي حتّى يؤسّس لفكرا واقعيّا هدفه النّهوض بإيطاليا الممزّقة.

- يعتبر ميكيافلي أن أسباب ضعف إيطاليا إنّما يتلخّص في عاملين: الإنقسام السّياسي والضّعف العسكري.

- طبيعة الإنسان الأنانيّة، هي المسلّمة الرّئيسيّة الّتي بنى عليها ميكيافلي فلسفته الواقعيّة، لذلك طالبا الأمير بأن لا يتغافل على هذه الحقيقة، وعلى هذا الأساس اتّخذ ميكيافلي من القوّة للسّيطرة على هذا الطّبيعة، وكذا زمام الحكم وأمن الدّولة.

- شرّع ميكيافلي للحاكم كلّ السّبل للوصول للحكم وتحقيق غاية السّياسة في خلق دولة قويّة، ملغيّا بذلك كلّ الإعتبارت الأخلاقيّة والدّينيّة إلّا مافيه صلاح ومنفعة للدّولة.

- كما أكّد ميكيافلي على ضرورة قيام جيش وطني، وعدم الإعتماد على جيوش المرتزقة أو المعاونة. إضافة إلى أهميّة الحرب بالنّسبة للأمير، لأنّها رمز للشّجاعة والقوّة ويثبّت الحاكم أكثرا في منصبه، لأنّه يزرع الخوف في نفوس رعاياه، ويُرهب الأعداء، ويقف بالمرصاد أمام أطماع الدّول الخارجيّة.

- يؤيّد ميكيافلي نوعين من أنظمة الحكم الملكي والجمهوري، ولم يوصي بالحكم الإستبدادي إلاّ في حالتين: إنشاء دولة أو إصلاح دولة فاسدة.

- يؤكّد ميكيافلي أيضا على ضرورة أن يكسب الأمير حسن ظنّ شعبه بكلّ الطّرق، لكي يشعر بالسّلامة سواء في أوقات السّلم أو الحرب.

- إنّ أفكار ميكيافلي ألهمت العديد من الحكّام والملوك، خاصة فكرة القوّة كمبدأ أساسي لسياسة ناجحة وبلوغ دولة قويّة. بالإضافة إلى مبدأ الغاية تبرّر الوسيلة، فإذا ما كانت غاية الحاكم المحافظة على حكمه، فقد جاز له إستخدام كافّة الوسائل المشروعة والغير المشروعة لبلوغ هدفه، فتغيب بذلك الوسائل الأخلاقية و القيم الإجتماعيّة. وهذا ما اِنعكس بالفعل في السأحة السّياسيّة الرّاهنة.

- ميكيافلي يدخل ضمن المفكّرين الأوائل الّذين وضعوا اليد بذكاء على المحرّكات الغير مرئيّة للأحداث التّاريخيّة، وما يتعلّق منها بالسّياسة، لقد صوّر لنا رجل الدّولة النّاجح ونقيضه دون تستّر، وحدّد بصراحة غير مألوفة ألاعيب السّياسة وشروط نجاحها أو اِخفاقها، واِستطاع أن ينقش اِسمه من ذهب في مجال السّياسة وفي عقول الحكّام والسّياسيّين الغربيّين في العصر الحديث والمعاصر، فإذا كانت أفكار ميكيافلي وقواعده في تسيير السّلطة، ونصائحه الّتي قدّمها للأمير النّاجح والّتي لم تكن سوى انعكاس لمتطلّبات الواقع، فرضت نفسها في ساحة السّياسة الغربيّة لدى كلّ من هتلر وموسليني وغيرهما ممّا لم يتمّ ذكرهم في هذا البحث، فهل يُمكن أن نلمس جانبا من هذه القواعد في الممارسات السّياسيّة للحكّام العرب؟ وهل ما يحدث في المجتمعات العربيّة من ربيع عربي يسمح لنا بأن نُطلق صفة الميكيافليّة على حكّامنا العرب باعتبار نوع حكمهم دكتاتوري عسكري مغلّف بغطاء الدّيموقراطيّة؟

القرآن الكريم

أوّلا:المصادر.

أ- باللّغة العربيّة.

1. نيقولا ميكيافلي:الأمير، (تر)أكرم مومن، مكتبة اِبن سينا، القاهرة، 2004م.
2. نيقولا ميكيافلي:الأمير، تعريب:خيري حمّاد، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط11، بيروت، (د.س).
3. نيقولا ميكيافلي:الأمير، تر:محمود لطفي جمعة، بيت الحكمة، ط1،(د.ب)، 2016م.
4. نيقولا ميكيافلي:الأمير(تراث الفكر السّياسي قبل الأمير وبعده)، تر:خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة، ط11، بيروت،1981م.
5. نيقولا ميكيافلي:فنّ الحرب، تر:صلاح صابر زغلول، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 2005م.
6. نيقولا ميكيافلي، المطارحات، تعريب:خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة، ط3، بيروت، 1981م.

ثانيا:المراجع.

أ- باللّغة العربيّة.

1. اِدوارد ميد اِيرل وآخرون، روّاد الإستراتيجيّة الحديثة-الفكر العسكري من ميكيافلي إلى هتلر- ، تر:محمّد عبد الفتّاح إبراهيم، مؤسّسة فرانكلين للطّباعة والنّشر،(د.ب)، (د.س).
2. اسماعيل زرّوخي، دراسات في الفلسفة السّياسيّة، دار الفجر، ط1، القاهرة، 2001م.
3. إمام عبد الفتّاح إمام، توماس هوبز فيلسوف العقلانيّة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، (دب)، 1985م.
4. إمام عبد الفتّاح إمام، الأخلاق والسّياسة-دراسة في فلسفة الحكم-، المجلس الأعلى للثّقافة، القاهرة، 2002م.
5. أودولف هتلر، كفاحي، منشورات المكتبة الأهليّة، بيروت، (دس).
6. أويغن فنك، فلسفة نيتشه، تر:إلياس بدوي، منشورات وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1974م.
7. برتراند راسل:تاريخ الفلسفة السّياسيّة، تر:محمّد فتحي الشنيطي، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب،(د.ب)، 1977م.
8. بول ستراتيون، موت في فلورنسا، تر:ناصر مصطفى أبو الهيجاء، مراجعة:أحمد خريس، هيئة أبو ضبي للسّياحة والثّقافة، ط1، (دس)، 2005م.
9. جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السّياسي-من المدينة الدّولة إلى المدينة القوميّة- تر:محمد عرب صاصيلا، مؤسّسة مجد، ط1، (دب)، 1985م.

10. جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر:علي المرزوقي، الأهليّة لنّشر والتّوزيع، ط1، لبنان، بيروت، 2006م.
11. جان توشار، تاريخ الفكر السّياسي،تر:علي مقلّد، الدّار العالميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط2، لبنان، بيروت، 1953م.
12. جيري بروتون، عصر النّهضة-مقدّمة قصيرة-، تر:إبراهيم البيلي محروس، مراجعة:نجيب مغربي، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، ط1، (دب)، 2014م.
13. روبرت تسيمر، في صحبة الفلاسفة-مدخل لأعمالهم الفلسفيّة الرّائدة-، تر:عبد الله محمّد أبو هشّة، دار الحكمة، لندن، 2011م.
14. ستيفن ديلو، التّفكير السّياسي والنّظريّة السّياسيّة والمجتمع المدني، تر:ربيع وهبة، مراجعة:علا أبو زيد، المجلس الأعلى للثّقافة، ط1، (دب)، 2003م.
15. شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزّاق، تاريخ أوروبا من النّهضة حتّى الحرب الباردة، المكتب المصري، القاهرة، 2000م.
16. صالح قنوصة، الدّين والفكر والسّياسة، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، 2003م.
17. صفاء عبد السّلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه، دار المعرفة الجامعيّة، (دب)، 1999م.
18. عبد الرّضا حسين الطعّان وآخرون، مدخل للفكر السّياسي الغربي الحديث والمعاصر،(د.ب)، 2008م.
19. عبد الخالق عبد الله، حكاية السّياسة، مجمد المؤسّسة الجامعيّة للدراسات والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت، 2006م.
20. عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، (دب)، 1998م.
21. عبد الرّحمان عبد الرّحيم، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعي، ط3، القاهرة، 1986م.
22. عبد الرّحمان خليفة، أيديولوجيّة الصّراع السّياسي-دراسة في نظريّة القوّة-، دار المعرفة الجامعيّة، (دب)، 1999م.
23. عدنان السيّد حسين، تطوّر الفكر السّياسي، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت، 2009م.
24. فريدريك نيتشه، العلم المرح، تر:حسان بورقية ومحمّد النّاجي، إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، 2007م.
25. فريدريك نيتشه، هكذا تكلّم زرادشت، تر:محمّد النّاجي، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2016م.
26. فؤاد زكريّا، نيتشه، دار المعارف، ط2، مصر، (دس).

27. فراس البيطار، موسوعة السّياسة العسكريّة، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، الأردن، عمّان، 2013م.
28. قحطان أحمد الحمداني، المدخل إلى العلوم السّياسيّة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، ط1، عمّان، الأردن، 2010م.
29. كافيين رايلي، الغرب والعالم، تر:عبد رؤوف محمد المسيري وهدى عبد المجيد حجازي، عالم المعرفة، الكويت، 1983م.
30. كمال مظهر أحمد، ميكيافلي والمكيافليّة، منشورات دار الشّؤون للثّقافة والنّشر، بغداد، 1984م.
31. كوينتن سكنر، ميكيافلي-مقدّمة قصيرة-تر:رحاب صلاح الدّين، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، ط1، القاهرة، 2014م.
32. كوينتن سكنر، أسس الفكر السّياسي الحديث، تر:حيدر حاج إسماعيل، المنظّمة العالميّة العربيّة للتّرجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2012م.
33. لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النّهضة الأوروبيّة، مركز الأهرام للتّرجمة والنّشر، ط1، القاهرة، 1987م.
34. محمّد على محمّد وعبد المعطي محمّد، السّياسة بين النظريّة والتّطبيق، دار المعرفة الجامعيّة، (دب)، 2002م.
35. محمّد خاتمي، مدينة السّياسة، دار الجديدة، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.
36. محمّد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السّياسيّة، دار الفكر، ط1، دمشق، 2010م.
37. محمّد علي أبو ريّان، تاريخ الفكر الفلسفي-الفلسفة الحديثة-، دار المعرفة الجامعيّة، (دب)، 1996م.
38. محمود حيدر، الدّولة-فلسفتها وتاريخها من الإغريق إلى مابعد الحداثة-، المركز الإسلامي، ط1، (دب)، 2012م.
39. مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، ط1، (دب)، 2004م.
40. مهدي محفوظ، إتّجاهات الفكر السّياسي في العصر الحديث، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، ط2، بيروت، 2007م.
41. موسى ابراهيم، الفكر السّياسي الحديث والمعاصر، دار المنهل اللبناني، ط1، بيروت،2011م.
42. نبيل راغب، أسرار المطبخ السّياسي-ردّ الإعتبار لميكيافلي-، دار الغريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، (دس).
43. هاشم صالح، مدخل للتّنوير الأوروبي-سبينوزا والدّين-دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، 2005م.

44. هشام محمود الإقداحي، تاريخ الفكر السّياسي، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2010م.
45. ياسين خليل، المنطق وفلسفة العلوم في التّراث العربي الإسلامي، إعداد وتقديم:مشهد العلاف، دار نينوى، سوريا، دمشق، 2014م .
46. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، ط6، القاهرة، (دس).

ثالثا:المجلّات.

أ- باللّغة العربيّة.

1. أحمد إدريس الطعّان، أخلاق القوّة بين المفهوم الإسلامي والغربي، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الإقتصاديّة والقانونيّة، المجلّد27، العدد الثّالث،2011م.
2. إسماعيل نوري الربيعي، صناعة الزّعيم-قراءة في العقل المكيافلي-، مجلّة دفاتر السّياسة والقانون، العدد8، جانفي 2013م.
3. عبد المجيد عبد التوّاب شيحة، فريدريك نيتشه فيلسوف ومربّي، حوليّة كليّة التّربية، جامعة قطر، العدد14 ،1997م.
4. نهلة محمود علي الزّق الجمراوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، المجلّة الأردنيّة للعلوم الاجتماعيّة، المجلّد10، العدد 2017،3م.

ب- باللّغة الفرنسيّة.

1- Anne Gleonec, Merleau-Ponty Entre Machiavel et Marx :Vert Une Nouvelle Analogie Du Corps Poliyiaue , Horizon 4(1)2015 : I.Resarch.

رابعا:معاجم وقواميس.

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، ج2، بيروت، لبنان، 1982م.

خامسا: المحاضرات.

1. علي هادي حميدي الشّكراوي، محاضرة: أشكال الحكومات، كليّة القانون، جامعة بابل، 2011-12-16م، www.uobabylon.edu.iq

ملخّص الدّراسة:

قدّم لنا ميكيافلي تصوّرا واقعيّا للدّولة، مختلفا عن كلّ التصوّرات المثاليّة السّابقة. فبعد مشاهدته للأوضاع السّياسيّة والاجتماعيّة المشتّتة في إيطاليا، وحُكمه على الطّبيعة البشريّة بالأنانيّة، اِتّخذ من مبدأ القوّة أداةً لتحقيق الوحدة القوميّة، واِخراج إيطاليا من أزمتها السّياسيّة، لذلك أقرّ ميكيافلي بضرورة فصل الأخلاق والدّين عن السّياسة، وأوصى الأمير بأن يجعل من مبدأ الغاية تبرّر الوسيلة قاعدة لحُكمه وسياسته. كما يُعتبر ميكيافلي أوّل من نادى بأهميّة وجود جيش وطنيّ، ونوّه عن خطر الإعتماد على جيوش المرتزقة، إضافة على تأكيده على ضرورة الحرب من أجل الحفاظ على أمن الدّولة، وهذه الغاية حسب ميكيافلي لن تتحقّق إلاّ بتطبيق النّظام الملكي القويّ للسّيطرة على زمام الحُكم والكبح من جماح الطّبيعة البشريّة، بعد ذلك يحقّ للحاكم أن يتّخذ من الحكم الجمهوري نظاما سياسيّا له.وبهذا يكون ميكيافلي مؤسّساً لعلم السّياسة الحديث، وكاشفا عن خبايا المطبخ السّياسي بوضعه لقواعد فنّ الحُكم الخاصّة بالأمير.

الكلمات المفتاحيّة:

الواقعيّة، الدّولة، الطّبيعة البشريّة، مبدأ القوّة، الأخلاق، الدّين، الأمير، الغاية تبرّر الوسيلة، جيش وطني، الحرب، النّظام الملكي، الحكم الجمهوري.

Study summary:

Contrary to previous perfectionist conceptualisations, Machiavelli put forth a realistic conceptualisation of the state. Having witnessed the unstable social and political situations in Italy and his judgment of the human nature as selfish, Machiavelli regarded the power principle as a means to reach national security and to provide Italy a way out of its political crisis. For this reason, he stressed the necessity for secularism, the separation of religion and morals from politics. Addedly, Machiavelli recommended the prince to adopt the "ends justify the means" as a guiding principle for his policy. He is also deemed as the first to call for the existence of a national army, emphasising the dangers of mercenaries. In this respect, he proclaimed that war is indispensable to ensure state security. Accordingly, a monarchical rule is required to hold the levers of power and to subdue the human nature. As a result, a ruler can adopt the republic regime. Drawing on the foregoing, Machiavelli is the founder of modern political science, revealing what happens behind the political scenes by setting the foundations of ruling for the prince.

Key words:

Realism, state, human nature, the power principle, morals, religion, the prince, the ends justify the means, national army, war, monarchical rule, republic regime.